حقيقة الآدمية

أو

(كتاب الرياضة)

للحكيم الترمذى

قام بنشره وتحقيقه

عبد المحسن الحسينى

هذا النص الذي أقدم له الآن هو كتاب لأبى عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشير ، الملقب بالحكيم الترمذى ، أحد أعلام الصوفية في القرن الثالث الهجرى ، وإمام طائفة كبيرة منهم .

ولد أبو عبد الله الترمذى فى العشرة الاولى من القرن الثالث فى مدينة ترمذ حيث بدأ نشأته الأولى ، فاتصل بأهل الحديث وأخذ عنهم . فأخذ عن أبيه(١) أول الأمر . ثم أخذ بعد ذلك عن صالح بن محمد الترمذى (٢) ، وصالح ابن عبد الله الترمذى (٣) (٢٣١ أو ٢٣٩) والجارود بن معاذ السلمى الترمذى (٤) (٢٤٤) .

وقبل تمام العشرة الثالثة من القرن الثالث انتقل الترمذى الى مدينة بلخ حيث بدأ المرحلة الثانية من نشأته العلمية . وهناك في مدينة بلخ بدأ الترمذى يتجه في طريق ذى شعبتين . أما الشعبة الأولى فقد كانت امتداداً لوجهته السابقة التى رسمها لنفسه ، وهى طلب الحديث وأما الوجهة الثانية فقد كانت وجهة جديدة وجهته فيها حياته بين الصوفية في بلخ ، اذ كانت هذه الوجهة

(١) لعله هو الذى ذكره الخطيب في تاريخ بغداد تحت اسم على بن الحسن بن بشير ابن هارون الترمذى ١١ : ٣٧٣ (٦٢٢٦) . (٢) الذهبي : الميزان (٣٧٦٩) — الخطيب : بغداد ٩ : ٣٣٠ (٤٨٦٦) — (٣) الذهبي : الميزان (٣٧٦٩) — الخطيب : بغداد ٩ : ٣١٥ (٤٨٥١) الخزرجي : الخلاصة ١٤٥ — (٤) الخزرجي : الخلاصة ١ :

نحو التصوف . وهكذا اتصل الترمذى فى بلخ بأهل الحديث كما اتصل بالصوفية فصادف هناك من المحدثين الحسن بن عمر بن شقيق البلخى (١) (٢٣٠) وقتيبة ابن سعيد الثقفي البلخى (٢) (٢٤٠) وعيسى بن احمد العسقلانى (٣) (٢٦٨). وصادف من الصوفية هناك احمد بن خضرويه البلخى (٤) (٢٤٠) وأبا تراب النخشبي (٥) (٢٤٥) ويحيى بن معاذ الرازي (٦) (٢٥٨).

انتقل الترمذى بعد ذلك الى بغداد استكمالا لما بدأ في طلبه فيمن دلن ، فأخذ يبحث بها عن أهل الحديث كما أخذ يلتمس الصوفية فقابل هناك من أهل الحديث يعقوب الدورقى (٧) (٢٥٠) ويعقوب بن أبى شيبة (٨) (٢٦٢) . وقابل من صوفية بغداد يحيى بن الجلاء . غير أن الترمذى بدأ فى هذه المرحلة يميل نحو الصوفية أكثر من ميله الى أهل الحديث . فلعله - يخرج الى العراق الا صحبة للصوفية فى رحلاتهم . فقد كانت صلته بمن ذكرنا من أصحاب التصوف صلة صحبة واخوة . لا صلة لقاء خسب . كتلك التى كانت بينه وبين أهل الحديث .

ينتهى الترمذى بعد ذلك من رحلاته العلمية . ويستكمل مراحل الطلب . ويعود الى بلدته الاولي ليبدأ حياة التأليف . وكان ذلك حوالى عام ٢٦٠ للهجرة . وقد كانت هذه الفترة أخصب مرحلة من مراحل حياته إذ كتب فيها قريبا من ثلاثين مؤلفا ، ما بين كتاب ورسالة . كما اعترف فيها الي تكوين فرقته الصوفية التي تنسب اليه وتعرف باسم «الحكيمية أو الترمذية». ولكن هذه الفترة لم تكن لتخلو مما يعكرها فقد ألف كتابيه المشهورين «ختم الولاية» و«علل الشريعة» فأثارا عليه القوم فى ترمذ وعرضاه لاضطهادهم . فنفوه عنها ، فسار الي بلخ ، حيث قبله أهلها لموافقته إياهم فى المذهب . ولكن حياة

---

(١) الخطيب : بغداد ٧ : ٣٥٥ (٣٨٧٦) (٢) ابن السمعاني : سمرقند ٢ : ٩٤
الخطيب : بغداد ١٢ : ٤٦٤ (٦٦٤٢) (٣) ابن السمعاني : سمرقند ٢ : ١٥٤
(٤) السلمي : الطبقات ٢١ ب (٥) ابن السمعاني ٢ : ٣١ ب — (٦) ابن السمعاني ٢ : ٢٢ ب (٧) الخطيب بغداد ١٤ : ٢٢٧ (٨) ابن السمعاني ١٤ : ٢٨١ (١٧٥٧٥).

الترمذي لم تطل به بعد ذلك فتوفي عام ٢٨٥ عما يقرب من ثمانين سنة (١) .

والقارىء لمؤلفات الترمذي يرى أن ثقافته لم تقتصر على ماطلبه من الحديث أو التصوف بترمذ وبلخ وبغداد . بل هناك ثقافات أخرى تشيع في مؤلفاته غير تلك التي تشيع في أوساط الصوفية والمحدثين .

أما أولي هذه الثقافات فهي ثقافة بعيدة البعد كله عن ثقافة الصوفية وأهل الحديث ، إن لم تكن تعارضها وتناقضها . تلك هي مجموعة العلوم والمعارف التي يكلف بها أصحاب الجديد عادة فيصغون اليها منصرفين عن كل موروث وقديم.

فوقف الترمذى فى ميدان الفقه علي مذاهب أهل الرأي ومنهجهم . فدرس القياس والاستنباط واستعرض معهم كثيرا من مسائلهم التى ينتهجون فيها هذا المنهج . ووقف الترمذى كذلك على مذاهب المتكلمين من غير أهل السنة أو أهل الحديث فتعمق مقالاتهم وأحاط بمناهجهم ، وتبين مصادر آرائهم ، ومقاصد وجهاتهم ، واسباب اختلافهم

ووقف الترمذى كذلك فى ميدان العلوم التي كان يتقدم بها أصحاب الجديد لمناهجهم علي مذاهب أهل اللغة من المشايعين للاتجاهات الجديدة فوقف علي آراء البصريين من اللغويين ومن نحا نحوهم ، وقف في ميدان التفسير وعلوم القرآن علي آراء أصحاب الجديد هؤلاء .

ووقف الترمذي بعد ذلك علي آثار هذه الاتجاهات الجديدة ، في كل من الميدان السياسى والاجتماعي ، وتبين ماتهدف اليه هذه الحياة الجديدة من غاية تباين وتختلف عن تلك الغاية القديمة التي تنطوي عليها الثقافة الموروثة بما تحمله من نظم وأساليب.

وأما ثاني هذه الثقافات التي تصادفها فى مؤلفات الترمذى فهي الثقافة الشيعية

---

(١) مصادر حياة الترمذي: السلمي : الطبقات ٤٨ ب — الهجويرى : كشف المحجوب (ليكلسن) ١٤١ ، ٢٤٥ — ٢١ — العطار : التذكرة ٢ : ٩١ / ١٠٩ — جامي : النفحات ١٣١ — ابو نعيم : الحلية ١٠ : ٣٣٣ — السبكي : الطبقات ٢ : ٢٠ — الذهبي التذكرة ٢ : ٢١٨ .

فقد وقف على جميع نواحيها سواء كان ذلك في الاعتقاد أو الاجتماع أو السياسة . فاتصل بمصادرها وتعمق منهجها وتفهم مراميها ووقف على مذهب اليه أنصارها في الاحتجاج لها .

وهناك ثقافة ثالثة نصادفها كثيرا فى مؤلفات الترمذى تلك هى الثقافة الفلسفية الحرة التي تدور حول طائفة العلوم الانسانية . فقد وقف الترمذي على مذاهب هذه الفلسفة ومناهجها سواء فى فلسفة الكون أو المعرفة أو الاخلاق . كما وقف كذلك على ما تقدم به هذه الفلسفة لمناهجها من دراسة الطب أو الانسان . ويظهر فى هذه الفلسفة الطابع اليوناني كما يظهر كذلك الطابع الفارسى سواء كان مانويا أو زرادشتيا .

هذه الثقافات جميعا نصادفها فى كتب الترمذي الى جوار ثقافة الصوفية وأهل الحديث . غير أن النوعين لا يقفان على درجة واحدة فأحدهما يقوم في خدمة الآخر ويقدم له .

أراد الترمذى أن يدافع عن أهل الحديث وينتصر لغايتهم الموروثة واتجاههم القديم فقد تأثر بثقافاتهم وبما تحمل فى طياتها من مثل اخلاقية ودينية وبما تنشد من نظام اجتماعي وسياسى . وكان الترمذى مرآة صادقة لثقافة عصره ومعارفه وكانت تنعكس عليه هذه الثقافات بما تحمل من اتجاهات جديدة ومناهج مستحدثة ، وكان عميق الفهم واسع النظرة متعدد الجنبات ، فاستطاع أن يجوب أوديتها جميعا وأن يستكنه اسرارها ، فاعجب بمناهجها واساليبها وطرائقها ولكنه انكر غاياتها واتجاهاتها ومثلها .

ليستبدل اذن بهذه الاتجاهات الجديدة التى أنكرها تلك الاتجاهات القديمة التى وقف لناصرتها . وليستبدل بتلك المناهج القديمة التى لم يعجب بها هذه المناهج الحديثة التي أعجب بها . وليأخذ إذن في نصرة أهل الحديث وفى تقرير مبادئهم مستعينا بهذه الاساليب المستحدثة والمناهج الجديدة وليقف إذن بين الغايات القديمة وبين المناهج الجديدة أو بعبارة أخرى بين «أهل

الحديث» فى غاياتهم وبين « أهل الرأى والفلاسفة» في مناهجهم .

أما هذا التوفيق أو هذا المذهب الجديد الذى وقف الترمذى عليه حياته فقد لخصه لنا في هذه المسائل الاساسية التي وقف عندها :

«أولا» فى الاتجاه العام : تفضيل أهل الحديث على بقية طوائف العلماء وقد ألف فى هذا كتاب العلوم

«ثانيا» فى المعرفة : تقسيم المعرفة الى ثلاثة اقسام العلم والحكمة الظاهرة والحكمة العليا . وتفضيل الحكمة الظاهرة والعليا على العلم . وقد ألف فى ذلك كتاب ختم الولاية .

«ثالثا» فى اللغة : نقد فكرة الترادف تمهيدا لنقد القياس والاستنباط ليحل محلها نوع آخر من القياس وقد ألف فى ذلك كتاب الفروق ومنع الترادف و كتاب تحصيل نظائر القرآن .

«رابعا» فى الاخلاق : فكرة الحق والعدل والصدق . وقد ألف في ذلك كتاب الأكياس والمغترين و كتاب العقل والهوى .

«خامسا» فى السياسة والاجتماع : فكرة الولاية وقد ألف فى ذلك كتاب ختم الولاية .

في هذه المسائل استطاع الترمذي أن يسخر مناهج المتكلمين وأهل الرأي من الفقهاء والفلاسفة والشيعة والمعتزلين فى الدفاع عن مذهب أهل الحديث أو بعبارة أخرى استطاع الترمذى خلال هذه المسائل أن يخرج لنا مذهب فى التوفيق بين أهل الحديث وبين المناهج العقلية في عصره .

غير أن الترمذي كان إمام فرقة صوفية قبل كل شيء . وكان همه الاول اذاعة هذه التعاليم بين اتباعه الذين لم يكونوا ليكلفوه أن يصوغها لهم فى صورة مذهب علمي أو فلسفي متماسك ، بل كانوا يقنعون بما دون ذلك ليلتمسونها في صورة مواعظ أو رسائل . وهكذا لم يكلف الترمذي نفسه أن

يصوغ من هذه المسائل مذهبا فلسفيا متكاملا . أما الذى كلفه نفسه فهو أن يعيش هذه التجارب الصوفية التى تشتمل عليها مؤلفاته وأن يحيا فيما يكتب ويفكر.

وكتاب الترمذي «حقيقة الادمية أو كتاب الرياضة» الذى نحن بصدده الان هو صورة واضحة لهذه الحياة العقلية التى كان يحياها الترمذى او بعبارة أخرى هو صورة حية للتوفيق بين هذه المناهج العقلية التي بدأت تنعكس على نفس الترمذى مع الثقافات الجديدة و بين الحياة الروحية التي ورثها عن الثقافة القديمة . هو صورة للتوفيق بين المنهج الجديد والغاية القديمة . وكم كان الترمذى شديد الاحساس بما يحمله هذا الكتاب من اتجاهين متباينين فاطلق عليه اسمين مختلفين يمثل كل واحد منهما اتجاها من هذين الاتجاهين . فاطلق عليه «حقيقة الادمية» تمثيلا للمنهج العقلى المتحرر الذي اراد ان يجعل منه اصلا يستند اليه فى تأليفه . كما سماه «كتاب الرياضة» تمثيلا للغاية الروحية التى يسعى لتأييدها .

وان كانت هذه الظاهرة تبدو في هذا الكتاب الان فهي تبدو كذلك فى حياة الترمذى جميعا . ولامر ما جمع فى تسميته وتلقيبه بين لقب الحكيم والصوفى . فقد كان حريصا على ان يجمع بين الناحية الروحيه القديمة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلى الذي جد في عصره .

اما هذا الاتجاه فقد أنزل الترمذى بين اهل عصره وبين تلامذته وافراد طائفته منزلة خاصة . وهذا الاتجاه نفسه هو الذى يعطى «لكتاب حقيقة الادمية او كتاب الرياضة في تعلق الأمر بالخلق» منزلته الخاصة بين كتب الترمذى .

* * *

اما الكتاب فقد انتهى الينا منه ثلاثة اصول وهى كل ما ظهر حتى الان من مخطوطاته ، وهى التى اعتمدنا عليها في تحقيق النص ونشره .

(١) اما النص الأول : فيوجد ضمن مجموعة للترمذى بالمكتبة الأهلية

بباريس تحت رقم (٥٠١٨ من القسم العربي) وتحوى هذه المجموعة اثنى عشر كتابا للترمذي . وترتيبها على النحو الاتى :
كتاب الصلاة — كتاب الحج — كتاب **الاحتياطات** — كتاب **الحمل اللازم** معرفتها — كتاب **الفروق ومنع الترادف** — كتاب **حقيقة الادمية** — كتاب **عرض الموحدين** — كتاب **الاعضاء والنفس** — كتاب **منازل العباد من العبادة** — كتاب **العقل والهوى** — كتاب **الامثال** — كتاب **المنهيات**).

وهذه المجموعة مكتوبة بخط مغربي صغير الحجم غير أنه رديء . وكان ناسخها يهمل النقط دائما ، هذا الي اضطراب في يده كان يجعل حروفه يلتبس بعضها ببعض . غير ان الناسخ كان على غاية من الدقة والفهم والعناية . فكان يضبط المشكل من الكلمات وكان يراجع ما يكتب من حين الى آخر ، ويثبت تصويباته في هامش النسخة . وكان اذا وقع منه خطأ اثناء الكتابة أصلحه وكان له في اصلاحه هذا طرق ثلاث :(ا) اذا نسي شيئا في اثناء الكتابة وضع خطا صغيرا عند مكانه ثم كتب في نهاية السطر الذي وقع فيه هذا السهو . (ب) اذا زاد شيئا عن خطأ شطبه بخط خفيف اووضع فوق ما يجب حذفه علامة صغيرة خفيفة . (ج) اذا التبست عليه كلمة فكتبها ثم فطن الى صوابها بعد ذلك عاد الى حروفها فاتمها — ماستطاع — علي الصواب .

وتدل خصائص هذه المجموعة علي انها كانت مجموعة خاصه كتبها صاحبها لنفسه . فطريقة كتبتها والعناية بها تؤيد ذلك . فهي رديئة الخط ، صغيرة حجمه ، مزدحمة الصفحات بالنص والتصويبات ، فعدد سطورها ٢٥ سطرا . وهي مع ذلك دقيقة صحيحه غير أن بها من حين الي حين بعض البياض الذي اصاب سطورها من اثر القدم .

أما ناسخ هذه المجموعة او صاحبها فهو علي بن سليمان بن احمد بن سليمان المغربي المرادى الاندلسي . انتهى من كتابة بعض رسائلها في الحادي عشر من رمضان سنة اربع وسبعين ، ثم لا يذكر بعد ذلك القرن الذي يقع فيه هذا العقد .

وانا وان كنا لانستطيع ان نهتدي الي شخصية كاتب المجموعة ولا ان نحدد القرن الذى كتبت فيه الا اننا نستطيع ان نجزم بانها اقدم الاصول الثلاثة التى بين ايدينا . وان كانت حالتها وخصائصها تمهد لأن نعتقد بأنها كتبت فى القرن السابع او الثامن .

أما « كتاب حقيقة الادمية » فى هذه المجموعة فيسمي « كتاب حقيقة الادمية او كتاب الرياضة في تعلق الامر بالخلق » ويبدأ بعد البسملة « قال أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن الترمذى رحمة الله عليه : الحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله . اما بعد . فان الله عزوجل خلق الادميين لخدمته وخلق ما سواهم سخرة لهم» . وينتهى « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماعبدالله عز وجل بمثل طول الاحزان — تم كتاب الرياضة والحمد لله كثيرا كما هو اهله ، والصلاة على رسوله محمد وآله اجمعين كما ينبغي له . رزقنا الله الرياضة في سبيله وابتغاء مرضاته فى خير وعافية ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه » وهو يشغل من هذه المجموعة الورقات (من ٩٩ الي ١٠٨) وقد اعتبرنا هذه النسخة الاصل الذي اعتمدنا عليه فى نشر النص ورمزنا اليها برمز (ب) .

(٢) اما الاصل الثانى فيوجد ضمن مجموعة للترمذي بالمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم (١٠٤ تصوف) وتضم هذه المجموعه خمسة مؤلفات للترمذي هي (كتاب الاكياس والمغترين — جواب كتاب من الري - كتاب بيان الكسب مسائل سئل عنها وذكر اجوبتها — كتاب الرياضة)

وهذه المجموعة مكتوبة بالخط النسخ الجميل مع شكل للكلمات يكاد يكون تاما . غير ان هذا الشكل لا يخلو فى بعض الاحيان من خطأ . فلعل الذي قام به هو الناسخ نفسه . ويدل مظهر هذه المجموعة وخصائصها علي انها قد تكون نسخت لحساب بعض الولاة او العلماء . خطها جميل متناسق وسطورها متناسبة وهوامشها فسيحة . اما عدد سطور صفحاتها فهو ١٧ سطرا غير ان بسطورها بعض البياض من اثر القدم وان يكن ذلك قليلا جدا وفى صفحات معدودة

وفى اول هذه المجموعة اشارة الى انها موقوفة واشارة اخري تبين تاريخ ذلك الوقف مع بعض اختام «اوقف هذا الكتاب الوزير المكرم الحاج محمد باشا والي الشام حالا دام فضله على طلبة العلوم ، وشرط الا يخرج من مكانه الا لمراجعته سنة ١١٩٠» اما تاريخ كتابة هذه المجموعة فلعله اقدم من تاريخ هذا الوقف كثيرا . وان كنا لا نستطيع ان نهتدي اليه ، كما انا لا نستطيع ان نذهب الى انه يبلغ من القدم حتي يعاصر النسخة السابقة .

واما كتاب حقيقة الادمية في هذه المجموعة فيسمى «كتاب الرياضة» ويبدأ بعد البسملة : « قال ابو عبد الله رحمه الله الحمد لله رب العالمين ولى الحمد واهله . اما بعد . فان الله عز وجل خلق الادميين لخدمته وخلق ما سواهم سخرة لهم . » وينتهي : «قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما عبد الله عز وجل بمثل طول الاحزان — تم كتاب الرياضة بعون الله ومنه وحسن توفيقه . الحمد لله وحده وصلاته علي سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

اما صلة هذا الأصل بالأصل السابق فتكاد تكون منقطعة . فكل منها قد وصل الينا عن طريق خاص وان يكونا قد اشتركا في مصدر فلعله ان يكون عاليا مرتفعا . فكل مجموعة من المجموعتين تحوي طائفة من الكتب غير التي تحويها الاخري فيما لا يشتركان الا فى كتاب الرياضة فحسب . هذا الى ان نص كل منهما يستقيم استقامة تامة مستقلا عن النص الاخر ، وبعيدا عن ان يكون قد تأثر به .

اما مظاهر الخلاف بين النسختين فترجع الي ثلاثة : (١) الخلاف فى النقط ، وخاصة في الافعال ، هذا الخلاف الذى من شأنه ان يعود بالضائر — في احد النصين — علي غير ما يعود بها في النص الاخر . وقد حرصنا على اثبات مثل هذا الخلاف . (ب) الخلاف فى استعمال الصفات التي تضاف الي لفظ الجلالة . وقد اهملنا اثبات ذلك لعدم تأثيره علي النص . (ج) الخلاف في متن اللغة واقامة النص . ومثل هذا الخلاف قد حرصنا الحرص كله على

اثباته . وكثيرا ما تكون قراءة هذه النسخة اجمل واقرب منالا من قراءة النسخة الاولي الا انا لا نستطيع الا ان نثبتها في الهامش ما استقام لنا نص النسخة الاولى . أما حين لا يستقيم نص النسخة الاولى فانا نثبت نص هذه النسخة في الاصل — اذا استقام — ونثبت القراءة الاخرى في الهامش . هذا وقد رمزنا الى هذه النسخة بالرمز (ظ) .

(٣) واما الاصل الثالث فيوجد ضمن مجموعة للترمذي بمكتبة عاشر باشا نبول تحت رقم (١٤٧٩) وهي تتضمن الكتب الاتية (كتاب الاعضاء والنفس — منازل العباد من العبادة — العقل والهوى — الامثال من الكتاب والسنة — المنهيات — حقيقة الادمية) .

وهذه المجموعة مكتوبة بالخط الفارسي الجميل في كثير من الاناقة والدقة وداخل اطار مذهب . وعدد سطورها ٢٧ سطرا . وبهامشها — الي جانب الاستدراكات النادرة التي قام بها الناسخ — تبويبات وعناوين لفصول الكتب التي تضمها المجموعة . اما هذه العناوين فهي مكتوبة بالخط النسخ وبعناية واناقة اقل بكثير من تلك التي يكتب بها الناسخ . ولعلها من فعل بعض قراء المجموعة او من تبويب صاحبها .

وحالة هذه المجموعة وخصائصها تدل على انها نسخت لحساب بعض اولي الامر او العلماء فناسخها وهو «الحاج احمد بن محمد بن الحاج علي بن ولي» لم يكن ليستطيع أن يفهم النص او يقيمه ولا ان يميز بين المذكر والمؤنث من الكلمات ، بل كان كثيرا ما يقيم النص على لهجة اعجمية .

واما تاريخ هذه المجموعة فيثبته الناسخ في آخر « كتاب المنهيات » : «قد وقع الفراغ من هذه المجموعة اللطيفة المشتملة اثنى عشر رسالة للحكيم الترمذى على يد اضعف العباد الحاج احمد بن محمد بن الحاج على بن ولى غفر ذنوبه واحسن اليهم واليه لسنة عشرين ومائة والف» . وان كانت هذه الاشارة لتدل كذلك علي ان هذه المجموعة كانت اكبر من ذلك اذ كانت تشتمل على اثنتي عشرة رسالة . كما تدل على ان كتاب حقيقة الادمية لم يكن

في آخرها اذ كان آخرها كتاب المنهيات . والراجح ان كتاب حقيقة الادمية كان اول هذه المجموعة ولكنه جلد خطأ فى آخرها .

اما «كتاب حقيقة الادمية» فى هذه المجموعة فيسمى «كتاب حقيقة الادمية» او «كتاب الرياضه فى تعلق الامر بالخلق» ويبدأ بعد البسملة «قال ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن الترمذي رحمة الله عليه . الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله . اما بعد . فان الله عز وجل خلق الادميين لخدمته وخلق ما سواهم سخرة لهم» وتنتهى بقوله : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله عز وجل بمثل طول الاحزان — تم كتاب الرياضة والحمد لله كثيرا كما هو اهله والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين كما ينبغى له . رزقنا الله الرياضة فى سبيله» .

اما عن صلة هذا الاصل بالاصلين السابقين فنستطيع ان نقول انه يرجع الى الاصل الاول اذ قد نقل عنه وان ترتيب الكتب في المجموعتين وعددها ليمهدان الى الاعتقاد بذلك غير ان المراجعة الدقيقة للنصين تؤكد ذلك تاكيدا لا مجال للشك فيه . ولنحاول توضيح ذلك خلال استعراضنا لمظاهر الاتفاق والاختلاف بين النصين واسبابها :

(ا) ان اماكن البياض التى ترد في الاصل الاول هى بعينها اماكنه من هذا الأصل .

(ب) ان ما ينساه ناسخ الاصل الاول فيثبته بعد ذلك فى الهامش ينساه ناسخ هذا الاصل كذلك غير انه لا يستدرك ذلك في الهامش الا نادرا .

(ج) ان ما ينساه ناسخ الاصل الاول فيثبته بعد ذلك في آخر السطر او فى اوله مع اشارة صغيرة عند موضعه من النص يثبته ناسخ هذا الاصل حيث ينتهي اليه من نهاية السطر او بدايته دون ان يفطن الى هذه الاشارة الصغيرة التى تحدد موضع النقص . وهكذا ياتي نصه فى هذه المواطن غير مرتب .

(د) ان ما يخطيء فيه ناسخ الاصل الاول فيثبته زيادة ثم يحذفه على طريقته بشطبه بخط خفيف او بوضع (ج) فوقه يثبته ناسخ هذا الاصل جميعا دون تمييز . ومن امثله ذلك : (خلق الفرح وجعل له بابا . فلما خلق الجنة خرجت الافراح غراس) فيثبتها ناسخ هذا الاصل (الافراح (ج) غراس) دون ان يتنبه للخط . (فنعيمه ذكر الله وعبودته ، وشهوته وموته راحته ويوم عيده) فلا يفطن ناسخ هذا الاصل الثالث لعلامة الحذف (ج) الموجودة فوق كلمة شهوته فيثبتها فى النص

(ه) ان ما يخطيء فيه ناسخ الاصل الاول فيصلح حروفه يلتبس على ناسخ هذا الاصل الثالث فيرسمه كما هو دون ان يتبين كيف يقرأ

(و) ان ما تضطرب فيه يد ناسخ الاصل الاول فيتسبب عنه لبس في القراءة يلتبس على ناسخ الاصل الثالث فيكتبه كما التبس عليه . ومن ذلك مثلا كلمة «القلوب» تضطرب بها يد الناسخ الاول فتتصل «القاف» «باللام» على شكل «ط» فيكتبها ناسخ الاصل الثالث «الطرب» .

(ز) ان ما يلتبس على ناسخ الاصل الثالث من عدم تناسق حروف الاصل الاول يرسمه كما هو دون مراعاة للفهم او المعنى . ومن ذلك مثلا «وفى الابتدا تنفر عن اللجام» تلتبس عليه فيثبتها «وفي الامتدا بعض عن اللجام» وكذلك « فى جلبة الصناعين مثل الحدادين والنجارين» تلتبس عليه فيثبتها «مثل الحدارت والبحارت» .

(ح) ان بقية الخلاف بين النسختين هو في مواضع النقط فحسب . واما غير ذلك من الخلاف فيرد الى الاسباب السابقة .

من هذا يتبين ان هذا الاصل الثالث قد نقل مباشرة عن الاصل الاول وان يكن هذا النقل دون عناية او فهم غير اننا لم نشأ ان نهمل نقط الخلاف بين النسختين. مع علمنا باسبابها — فاثبتناها احتياطا . اما الخلاف الذى ينتج عن النقط فقد اهملناه وقد رمزنا الى هذا الاصل الثالث بالرمز (ع) .

كتاب حقيقة الادمية

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الترمذي رحمة الله عليه :(١)
الحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله — أما بعد — فان الله عز وجل خلق الآدميين لخدمته ، وخلق ما سواهم سخرة لهم . فقال في تنزيله: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا». ثم قال: «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه». فجعل في كل مسخر ما يحتاج اليه هؤلاء الخدم ، وما يرجع نفعه اليهم. فهم كلهم قائمون يؤدون(٢) السخرة الى هؤلاء الخدم . فأظهر خلقهم من القدرة بقوله « كن» وأظهر خلق هؤلاء الخدم من المحبة بيده .

[صفة ظاهر الادمي وباطنه]

[خلق آدم . نفخ الروح والنفس . أعضاء الجسم . القلب والفؤاد . الشهوة . مكان الروح والنفس . الذهن والحفظ والفهم . الفرح . العقل . نور التوحيد ونور الحياة . المعرفة والهوى . دخان الشهوات . الحقد والغضب والكبر].

— ١ —

فعجن طينته وصوره بيده . ثم جعله ذا أجزاء كل جزء منه يعمل عملا غير عمل الآخر . ثم نفخ فيه من روحه : وهو روح الحياة ، ونَفْسِه الطيبة.(٣) فبدرت

---

(١) ظ : « قال أبو عبد الله رحمه الله ». واسم جده «الحسن» لا يذكر الا في هذه الرسالة فقط. وهو موافق لما ورد «بطبقات الصوفية للسلمي» ٤٨ ب وان كان يختلف عما ذكره ناشر نوادر الاصول اذ يذكره «الحسين» كما يختلف كذلك عما ذكره Massignon اذ يذكره «الحسين» Essai 256. — (٢) ع : مؤدون. — (٣) ب : « نفسه الطسة» بضبط « نفس» بالكسر وبدون نقط «الطيبة» — ظ: « نفسه الطينية» — ع: « نفسه الطيبة» مع تشديد «الطيبة».

النفس فاستقرت[١] في الجوف. [٢] فجعل في ظاهره يدين ذواتي أصابع وذواتي[٣] مفاصل تبسط وتقبض[٤]، ورجلين موشجتين في الوركين ذواتي ساقين وقدمين يختلف بهما في قطع المسافات، وعينين بهما يشتمل على الألوان لذة وخبرا، وأذنين بهما يتناول الأصوات لذة وخبرا، ولسانا يديره في قبوحنكه إلى شفتيه ليلفظ بنغماته من صدره إلى شفتيه، مؤدية تلك النغمات معاني الأمور التي تُعقَل[٥] وتتردد في صدره صور تلك الأمور، فتصير تلك الصور حروفا مؤلفة، فيبرزها بصوت يسمع به آذان المستمعين له، حتى تصير تلك الأسماع قد تعالها هذا الصوت، فيتحول ما في صدر هذا من تلك الأمور إلى صدر المستمع، من طريق في هذا إلى أذن الآخر، فيكون قد أفرغ ما في صدره من صورة الأمور ومعانيها، بحروف والصوت إلى صدر صاحبه. وجعل له منخرين للنفس والشم، ومعدة صيره دار رزقه. وبنى هذه الدار متصل بفمه[٦]، وبابين في أسفل جسده: أحدهما مخرج للدرنه، والآخر مخرج الفضول والأذى. وذلك أن العدو لما غره حتى أكل من الشجرة وجد السبيل إلى معدته بتلك الأكلة التي أطاعه فيها، فجعله مستقره، فتن ما في المعدة منذ[٧] يومئذ لرجاسة العدو. فمن هاهنا وجب علينا غسل الأطراف مما يظهر من المعدة من الغائط والبول وريحهما. ثم وضع في جوفه بضعة جوفاء سماها قلبا وفؤادا. فما بطن منها فهو القلب، وما ظهر منها فهو الفؤاد. وإنما سمي قلبا لأنه يتقلب بتقليب الله عز وجل إياه لأنه بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبه بمشيئته فيه. وسمي فؤادا لأنه غشاء لتلك البضعة الباطنة. ومنه يقال «هذا خبز فئيد» و «خبز مَلّة» لأنها خبزة قد ظاهرها أخرى. وجعل له على هذا الفؤاد عينين وأذنين وبابا — وصير القلب

---

(١) ع: «واستقرت» — (٢) ع: «فاستقرت بنفسه في الجوف» — (٣) ع: ناقصة
(٤) ع: «يبعض ويبسط». — (٥) ع: «بعقل وتردد». — (٦) ع: «بالقبة»
(٧) ظ: «منه».

بيتا ، له عينان وأذنان — وبابا فى الصدر . وجعل الصدر ساحة هذا البيت. وجعل إلى جانبه بضعة أخرى سماها كبداً . وجعله مجمع عروق الجسد كله. ومنه ينقسم ما يجري(١) من المعدة من قوة الطعام الذي ملحته المعدة حتي صار دماً مريئاً (٢) فجري(٣) فى جميع العروق . وألصق بأسفله بضعة أخري فسماها طحالا ، وإلى جانب الأخري(٤) سماها رئة، ومسكن النفس فيها ، ومنها تتنفس(٥) النفس بحياتها التي فيها ، فتخرج الأنفاس إلى الفم والمنخرين . ثم وضع بين القلب والرئة وعاء رقيقا فيه ريح خفاقة تجري(٦) فى مجري الدم . وأصل تلك الريح من باب النار ، مخلوقة من نار جهنم ، لم يصل اليها سلطان الله تعالى وغضبه فتسود كما اسودت جهنم . بل هى نار مضيئة ، حفت النار به . موضوع فى هذه(٧) النار الفرح والزينة . وسماها الشهوة . وإنما سميت شهوة لاهتشاش النفس اليها ، يقال «اهتشت[٩٩ ب] واشتهت» . الاهتشاش في الظاهر ، والاشتهاء في الباطن ، وكلاهما فى الحروف عددهما سواء ، إلا أنه قدم «الهاء» هاهنا وأخر (٨) هناك ليكون(٩) فرقا بين النوعين .

- ٢ -

فالنفس (١٠) إذا هبت تلك الريح من ذلك الوعاء لعارض ذكر شيء أحست النفس بذلك فالتهبت (١١) نار الحرارة بتلك الريح . والنفس مسكنها في الرئة ، ثم هى منفشية (١٢) في جميع الجسد . والروح (١٣) مسكنه (١٤) فى الرأس الي أصل الأذن ومعلقها فى الوتين وهى منفشية (١٥) في جميع الجسد . فالروح فيه

---

(١) ظ : «يخرج» . — (٢) ظ : «مريء» . — (٣) ع : «فجمع فجري» . — (٤) ظ «وبضعة سماها رئة» . — (٥) ع : «ينفس» . — (٦) ع : «يجري» . (٧) ع : «هذا» — (٨) ظ : «آخرها» . — (٩) ظ : «تكون» . (١٠) ب : غير واضحة . ظ : «والنفس» . ع : «تتنفس» (١١) ظ : «الهبت» . — (١٢) ع : «منفتة» . — (١٣) ع : «فالروح» . — (١٤) ظ : «مسكنها» . (١٥) ع : «منفشة» .

حياة والنفس فيها (١) حياة . فهما (٢) يعملان في جميع الجسد بحياتهما ، حتى تتحرك الجوارح وجميع الجسد في الظاهر والباطن بالحياتين اللتين وضعت فيهما . والروح نور فيه روح الحياة . والنفس روح كدرة جنسها أرضية وفيه روح الحياة . ووضع الرحمة في الكبد . والرأفة في الطحال ، والمكر في الكليتين ، وعلم الاشياء في الصدر . وجعل مستقر الذهن في الصدر ثم هو منفش في البدن كله . والذهن يقبل العلم جملة وقرنه حفظ ، وجعل في ناصيته الفهم وجعل له طريقا الي عين الفؤاد . فالحفظ مستودع العلم . فاذا احتاج الفؤاد الي شيء لحظ الى الحفظ فأبرز الحفظ له علم ذلك الشيء المستودع الذي قد تعلمه .

وجعل ماء الذرية في صلبه . فمنهم أخذ عليه الميثاق يوم أخرجهم من الظهور فعرضهم على آدم صلى الله عليه وسلم . ومنه ما لم يؤخذ عليه الميثاق . وجعل مجراه من صلبه الي نفسه . ووضع الفرح في قلبه . وجعل مجراه الي صلبه لتتأدي حرارة ذلك الفرح الي الصلب فتذيب (٣) ماء الصلب . فقوة هذا الفرح يخرج ذلك الماء فيدفق به . وإنما صار دفق لقوة الفرح وهبوب ريحه وضيق المخرج . فاذا افتقد الانسان الفرح عجز عن الدفق . فهذا لعامة الآدميين .

ثم خص المؤمنين بنور العقل ، فجعل مسكنه في الدماغ ، وجعل له بابا من دماغه الي صدره ليشرق شعاعه بين عيني الفؤاد ليدبر الفؤاد بذلك النور الامور فيميز بين الامور ماحسن منها وماقبح . ووضع نور التوحيد في باطن هذه البضعة وهي القلب . وفيه نور الحياة ، فحيي القلب بالله تبارك وتعالى ، وفتح عيني الفؤاد فأشرق نور التوحيد الي الصدر من باب القلب ، فأبصر عينا الفؤاد — بنور الحياة التي فيهما (٤) — نور التوحيد فوحد الله عزوجل وعرفه . وميز العقل تلك العلوم التي أعطي الذهن في صدره جملة فصير هاشمها شعب فصارت

---

(١) ظ : «فيه» . — (٢) ع : «فيهما» (٣) ظ : «يذب» . — (٤) ع : «فيه» .

معرفة حين اشعبت (١) . فهذا عمل العقل في الصدر .

- ٣ -

والهوي أصله من نفس النار . فاذا خرج ذلك النفس من النار احتمل — من ذلك المحفوف من الشهوات بباب النار فيها — الزينة والأفراح ، فأورد علي النفس. فاذا نالت النفس ذلك الفرح والزينة هاجت (٢) بافيها من الفرح والزينة الموضوعة الي جانبها في ذلك الوعاء — وهي ريح حارة — فدبت في العروق فامتلأت العروق منها في أسرع من الطرفة . والعروق مشتملة علي جميع الجسد من القرن الي القدم . فاذا دبت في العروق ولذت النفس دبيبها وانتشائها (٣) في الجسد فامتلأت (٤) النفس لذة وهشت الي ذلك الشيء فتلك شهوتها ولذتها . فاذا تمكنت النفس بتلك الشهوة واللذة من جميع الجسد فصارت تلك الشهوات نهمة علي القلب . والنهمة غلبة الشهوة وغايتها ، (٥) فاذا غلبت الشهوة غلبت علي القلب (٥) فيصير القلب منهوما وهو أن تقهر القلب حتي تمنعه فتستعمله بذلك فيصير سلطان الهوى والشهوة مع النفس ، ومسكنها في البطن — وسلطان المعرفة والعقل والعلم والفهم والحفظ والذهن في الصدر ، وجعل المعرفة في القلب ، والفهم في الفؤاد ، والعقل في الدماغ ، والحفظ قرينة . وجعل للشهوة بابا في مستقره الي الصدر — فيفور (٦) دخان تلك الشهوات (٧) التي جاء بها (٨) الهوي حتي يتأدي ذلك الي صدره فيحيط بفؤاده وتبقي عينا الفؤاد في ذلك الدخان [١٠٠] — وذلك الدخان اسمه الحمق قد حال بين عيني الفؤاد وبين النظر الي نور العقل ماذا يدبر له .

---

(١) ظ : « انشعبت » . — (٢) ع : « تلاحت » . — (٣) ع : « انهاشها » . — (٤) ع : « وامتلات » (٥) ع : « فاذا غلبت الشهوة على القلب » . — (٦) ب : « يفور » ظ : « يفور » : « فيفور » — (٧) ظ : « الشهوة » — (..) ع : « الي جانبها الهوي » .

وكذلك الغضب اذا فار فهو كالغيم (١) يقف بين عيني الفؤاد حتي يصير العقل منكمنا . لأن العقل مستقره فى الدماغ وشعاعه مشرق الى الصدر فاذا خرج ذلك الغيم — غيم الغضب — من الجوف الي الصدر امتلأ الصدر منه وبقيت عينا الفؤاد فى ذلك الغيم لأن شعاع العقل قد انقطع وحال الغيم بينه وبين الفؤاد. فصار الفؤاد من الكافر فى ظلمة الكفر وهى «الغلفة» التي ذكرها الله تعالي فى التنزيل : « وقالوا قلوبنا غلف »وقال : «بل قلوبهم فى غفلة من هذا» . وصار الفؤاد من المؤمن فى دخان الشبوات وغيوم الكبر فذلك غفلة . ومن الكبر أصل الغضب . والكبر فى النفس لما أحست بما ولى الله تعالى من خلقها ، فبقي ذلك الكبر فيها . فهذه صفة ظاهر الآدمي وباطنه .

[المقادير]

[جباية الله . الميثاق . صبغ القلب فى ماء الرحمة . نور الحياة والتوحيد والعقل]

— ٤ —

فوقعت الجباية من الله عزوجل والخيرة على هذا الموحد من كل الف واحد . وبقى تسعمائة وتسعون (٢) فرفع (٣) البال عنهم . وجعل باله لواحد من كل الف من الآدميين . فقسم الحظوظ يوم المقادير بالبال ورفض من لم يبال به ، فخابوا عن الحظوظ . فلما استخرجهم ذرية من الأصلاب استنطقهم (٤) ، فاعترف له أهل الحظوظ من باله طوعا، لقوله عز وجل حين قال: «ألست بربكم» واعترف من خاب عن الحظ ومن لم ينل من باله بقوله «بلي» كرها . فذلك

(١) ع «كالنهم» . — (٢) ب ، ع : «تسع مائة وتسعة وتسعين» . — (٣) ع : «وقع» . — (٤) ظ : «فاستنطقهم»

قوله عز وجل : « وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها . » فصيرهم فريقين عن اليمين وعن الشمال ، ثم قال هؤلاء فى الجنة ولا أبالي أى لا أبالي بمغفرتى أن تنالهم ، وهؤلاء فى النار ولا أبالى أي لا أبالي بهؤلاء أين (١) يصيرون . ثم ردهم الي صلب آدم عليه السلام ليخرجهم فى أيام الدنيا للاعمال وإقامة الحجة . فكل من وقعت عليه حجته واختياره بدأ فصبغ (٢) قلبه أى غمس قلبه فى ماء الرحمة حتي طهره به . وهو قوله عز وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » . ثم أحياه بنور الحياة . وقد كان قبل ذلك بضعة من لحم جوفاء . فلما أحياه بنور الحياة تحرك وفتح عينيه اللتين علي الفؤاد . ثم هداه بنوره وهو نور التوحيد ونور العقل . فلما أشرق فى صدره واستقر الفؤاد — وهو القلب — الى ذلك النور — فعرف ربه عزوجل بذلك — فذلك قوله عزوجل : « أومن كان ميتا فأحييناه » أى بنور الحياة . ثم قال : « وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس » ثم أوله قلبه بذلك النور اليه حتى (٣) اطمأنت النفس وسكنت الى أنه وحده لا إله غيره . فعندها نطق اللسان — عن طمأنينة النفس وموافقة القلب — بلا إله إلا الله . وذلك قوله عز وجل : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله . » وهو قوله عزوجل : « يا أيتها النفس المطمئنة » — وهى التى اطمأنت النفس حين رأت تلك الزينة التى زينت النفس بين عيني الفؤاد — توحيد الرب عزوجل — وجدت حلاوة حب الله تعالى التى وردت علي القلب مع نور التوحيد . فلما رأت تلك الزينة وجدت حلاوة الحب الذى فى نور التوحيد ، فعندها اطمأنت وسكنت الى توحيده ، فشهدت بلا إله إلا الله . وذلك قوله عزوجل : « حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم . » فلما رأت النفس تلك الزينة كرهت الكفر والفسوق والعصيان .

---

(١) ظ : « الى اين » . (٢) ظ : « وصبغ » (٣) ع : « من » (٤) ظ : « وانه »

فللمؤمن اذا اذنب فانما يعصى بالشهوة والبهمة وهو كاره للفسوق والعصيان، ومع الكراهة يفسق ويعصى بغفلة (١)، ولا يقصد الفسق والعصيان كما قصد ابليس. فتلك الكراهة موجودة فيه، والشهوة غالبة عليه. والكراهة من أجل التوحيد الذى فيه، الا أن القلب مقهور بما فيه، والعقل منكمن، والصدر ممتلىء من دخان تلك الشهوة، والنفس بما أوردت قاهرة للقلب، لان العقل قد غاب، والمعرفة قد انفردت، والدين قد تبدد، والحفظ مع العقل منكمن فى الدماغ، والنفس قد قامت [١٠٠ ب] على ذنبها بما أوجدت من القوة فى تلك الشهوة، والعدو يزين ويزجى (٢) ويمني المغفرة، ويدل على التوبة، حتي يجرئه قلبا ويشجعه.

[المجاهدة]

[الباب والعنوان — شهوة الفرج والزينة . السكر بالآدمى .
قوة القلب بالنور — وبالحلال . الميثاق . جهاد القلب والعقل .
القلب أمير على الجوارح]

— ٥ —

فلما كان العبد بهذه الصفة أمر بالمجاهدة. فقال عزوجل: «وجاهدوا فى الله حق جهاده». ثم لما علم أن المجاهدة تشدد وتصلب (٣) علي العباد أخبرهم عن منته، وحسن صنيعه وبره ولطفه بهم (٤). فقال عزوجل: «هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج». يعلمهم أنه لو لم يجتبهم ولم يوقع اختياره عليهم ما كانوا ينالون نور الرحمة ونور المعرفة، وكانوا أسارى فى يد العدو وحطبا للنار. فأخبرهم أنه اجتباهم. ثم قال عزوجل: «ما جعل عليكم فى الدين من حرج» يعلمهم: أني (٥) حين الزمت جوارحكم (٦) أمري ونهيي لم أضيق عليكم حتي

---

(١) ظ: «مع الغفلة» — (٢) ع: «ويوحى» — (٣): ع ناقصة — (٤) ظ: ناقصة — (٥) ع: «أني» — (٦) ع: «جواب حكم»

تخرجوا ، بل ابحت لكم ، ووسعت عليكم مالا يضيق عليكم حتي تهزعوا الي الحرام ، ولم أحملكم فرائضي حملا تعجزون عنه ، ووسعت لكم (١) فى كل فريضة مالم تضق (٢) عليكم فكل (٣) شهوة منعتكم عنها أطلقت لكم عن بعضها ، فوضعت علي كل جارحة من هذه السبع حدا ووكلتكم بحفظها. والجوارح السبع هى : اللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان والبطن والفرج. وجعلت مستقر هذه الشهوة فى البطن فان (٤) اشتهي الكلام خرج سلطان تلك الشهوة الى الصدر والي القلب . والقلب أمير على الجوارح . فاذا غلب سلطان الشهوة وحلاوتها ولذتها على (٥) القلب وانكمن (٦) سلطان المعرفة وحلاوتها ولذتها (٦) فى القلب ، وسلطان العقل وزينته وبهجته فى الدماغ ، تحير الذهن عن التدبير ، وخمد نور العلم فى الصدر فظهرت المعصية على الجوارح. واذا غلب سلطان المعرفة ولذتها وحلاوتها ، وسلطان العقل وزينته وبهجته اتقد الذهن واستنار العلم وانتشر وأشرق ، وقوى القلب فقام منتصبا متوجها بعين فؤاده (٧) الى الله عزوجل ، وجاء المدد والعطاء ، وظهرت العزيمة على ترك المعصية العارضة . فاذا ظهرت العزيمة وجد القلب قوة على زجر النفس ، ورفض ما عزمت عليه فانقمعت النفس وذلت ، وسكن غليان الشهوة ، وماتت اللذة ، وسكنت العروق ، ودرست صورة تلك المعصية عن الصدر ، وتخلص العبد . وأمر المجاهدة اذا عرض ذكر شيء على الصدر ، وقد حرم الله عزوجل ذلك الشيء عليه . وذلك انه لما عرض الذكر فاهتاجت النفس لما (٨) هاجها الهوى ، واورد العدو الزينة التي وضعت بين يديه ، وجعل له السبيل الي صدره لتزين (٩). وتلك الزينة هى الفرح الذى وصفنا أنه بساب النار . فأصله الفرح

(١) ظ : « عليكم » — (٢) ظ : « مالا يضيق عليكم » — (٣) ظ : « وكل » — (٤) ظ : « فدا » — (٥) ظ : « فى » — (٦) ظ : « ناقصة . ع : « وانكمن سلطان المعرفة وحلاوتها ولذتها في القلب وسلطان العقل » — (٧) ظ : « الفؤاد » — (٨) ع : « بما » — (٩) ظ : « ليزين » .

وحشوه الزينة ، وكلاهما من النار خلقا . سميت «شهوة» لاهتشاش النفس ، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حفت النار بالشهوات » ولذلك قال (١) عمر رضى الله عنه فى خطبته : « إن (٢) العدو مع الدنيا وأرصاده مع الهوى ومكره (٣) مع الشهوات . » فانما يصير العدو الى العباد مع أفراح الدنيا وزينتها .

- ٦ -

ويَرْصُدُ الهوى الذى يهيج من الآدمى ويمكر به اذا اشتهت النفس . وانما صار مكرا لأن هذه الشهوات بعضها مطلق وبعضها محظور عليه . فيمكر به في المطلق له ليجره الى المحظور عليه لأن النفس بلهاء . فاذا مرت فى الحلال فتمكنت منه سلست في الحرام اذا لم يكن في القلب من القوة مايقيد النفس عن الحرام ويقويها حتى لاتلس . وقوة القلب من النور فاذا جاهد العبد فمن جهاده أن يروض نفسه فيؤدبها . وأدب النفس أن يمنعها الحلال حتى لاتطمع في الحرام . وذلك أن النفس قد اعتادت لذة التكلم بالكلام فاذا لم يلزمها الصمت فيما لابد منه حتى تعتاد السكوت ، فاذا اعتادت السكوت عن الكلام فيما لابد منه فقد [١٠١] ماتت شهوة (٤) الكلام فستراح وقوى على الصدق فلا يتكلم الا بحق . فصار سكوته عبادة ، وكلامه عبادة لأنه ان نطق نطق بحق وان سكت سكت بحق . لانه يسكت (٥) مخافة الوبال .

واعتادت النفس رمي البصر حيثما (٦) وقع من غير مبالاة . فاذا لم يلزمها الخفض أن يكون خاشع الطرف ، خافض البصر اعتادت رمي البصر لتدرك الاشياء . فاذا رأي الحرام لم يملك بصره لان شهوة النظر قد أخذت بعينه

---

(١) ع : «وال» — (٢) ع : « الى » . — (٣) ع : « ومكر من » . —
(٤) ب ع : «ماتت من شهوة الكلام» — (٥) ظ ع : «سكت» — (٦) ع : «حما».

فملكته فاذا لزم عينيه عن النظر ورماها الى الارض اذا مشى وقام وقعد ماتت شهوة النظر الى الاشياء واعتادت غض البصر وخفضه (١). فاذا نظر نظر لحق واذا غض غض لحق. وصار (٢) نظره عادة وغضه عادة.

وكذلك شهوة السمع واليدين والرجلين والبطن والفرج. فالمجاهدة هذه. فاذا عزم العبد على مجاهدته ألزم كل جارحة من هذه الجوارح السبع المطلقة عن عملها حلالا كان أم حراما حتى تموت تلك الشهوة. لان تلك الشهوة هي شهوة واحدة أحل له بعضها وحرم عليه بعضها بلوي من الله عزوجل على عباده وتدبيرا لهم. فما علم أنه يصلح لهم ويصلحون عليه أطلقه لهم (٣). وما علم أنه يفسدهم ويضرهم (٤) يمسدون عليه حظره عليهم. فالمطلق حلال والمحظور حرام. وذلك مثل الكلام فهي شهوة واحدة بعضها حلال، وبعضها حرام. والاستماع الى الاصوات بعضه حلال وبعضه حرام (٥) والنظر الي الاشياء بعضه حلال وبعضه حرام. والاخذ والاعطاء بعضه حلال وبعضه حرام. وكذلك المشي. والبطن والفرج كذلك. فانها هي شهوة واحدة لكل جارحة أحل العبد بعضها تلك الشهوة، وقضاء تلك النهمة بصفة وهيئة. وحرم عليه بصفة أخرى وهيئة. كالمرأة يطأها بنكاح فتحل، ويطأها بغير نكاح فتحرم عليه. وكذلك كل شيء يخرج من هذه الجوارح من الحركات. وقد أخذ عليه يوم الميثاق لا تعمل جارحة الا بما أطلق له في التنزيل وعلي ألسنة الرسل. وقبل العبد ذلك ومثله. فأوثقه بما ضمن، فاقتضاه الوفاء. ولذلك سمي بالعجمية «بنده» لانه أوثق بما قبل من الطاعة في الامر والنهي. فاذا وفاه تملك (٦) «الندكية» وفاه له بالعبد وهي الجنة. فقام العبد بمجاهدة النفس عند ما يعرض

(١) ظ: «غضه النظر وغضه» — (٢) ع: «كان» — (٣) ظ: ناقصة. (٤) ظ: ناقصة. (٥) ظ: ناقصة. (٦) ع: «تلك».

ذكر شهوة محرمة عليه . فعلى العبد أن يجاهد ها هنا بقلبه بما فيه من المعرفة وبعقله بالمواعظ التي وعظ الله عز وجل من الوعد والوعيد وذكر الموت والحساب والقبر والقيامة حتى يزجر النفس والعدو . فاذا كان العبد لم يرض نفسه قبل ذلك ولم يؤدبها ولم يعودها ما ذكرنا بدءاً من رفض هذه الشهوة المطلقة له حتي تذل وتسكن ، ويلزمها خوف الله عز وجل وخشيته لم يملك نفسه عند ما يعرض لها ، ولم يقدر علي تسكينها بل هي تغلب القلب بما فيها من سلطان الفرح والزينة والشهوة ، فيصير القلب أسيرا للنفس بعد أن كان اميرا علي النفس. لأن امارة القلب بالمعرفة ، وبما أعطى من هذه الانوار التي وصفنا : من نور العقل ، ونور الحفظ، ونور الفهم ، ونور العلم ، ونور السكينة . فأجمل للعبد في الأمر فقيل له: «جاهد في الله عز وجل حق جهاده » . فمن لم يرض نفسه قبل ذلك جاهدا فربما غلب وربما غلب . فلذلك يوجد العبد مرة طائعا ومرة عاصيا في شهوة واحدة.

- ٧ -

فأما الأكياس فراضوا أنفسهم وأدبوها فامتنعوا من الحلال المطلق لهم حتي هدأت جوارحهم . وانما هدأت وسكنت لسكون عليان شهوة النفس . فاذا استعملوها ، كان القلب أميرا قاهرا ، فاستعمل تلك الشهوة بما يريه العقل [١٠١ب] ويزين له ويحده (١) له بأدب الله عز وجل الذي أدبه. فهنالك يملك نفسه أن يقف علي الحلال فلا يجاوزه . فهو ينطق فاذا بلغ منطقه مكانا يصير ذلك الكلام عليه او كذب (٢) ملك نفسه فامتنع وتورع ، لأن شهوة الكلام ماتت منه . فهو يتكلم لله عز وجل وابتغاء مرضاته . وكذلك النظر اذا كان قد راض نفسه حتي ماتت منه شهوة النظر ملك نفسه عند الحرام . وملك السمع

(١) ظ : « ويؤدبه » — (٢) ع : « كذبا » .

وسائر الجوارح السبع .

روي أن سهل بن عبد الله المروزى كان اذا مشى في السوق حشا أذنيه بالقطن ورمى ببصره الى الأرض ، وكان يقول لامرأة أخيه وهى في الدار معه: « استتري مني ! ». فكان (١) ذلك دأبه زمانا . ثم ترك ذلك، ورمى بالقطن ورفع ببصره الى الناس ، وقال لامرأة أخيه : « كوني كيف شئت ! » فذلك منه حيث وجد شهوته ميتة . وروى لنا عن عامر بن عبد قيس أنه قال: «ما أبالي امرأة لقيت أم حائطا » . وروي عن بعض التابعين أنه قال : « الزمت نفسي الصمت بحصاة جعلتها في فمي . » فكان (٢) اذا أكل أخرجها ، واذا فرغ وضعها في فيه (٣)، وكذلك اذا صلى . فبقي في (٤) ذلك أربعين سنة حتي لزمت نفسه الصمت فرمى بها . وروي لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه مر برجل يعبث في صلاته بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت (٥) جوارحه» .

وإنما يخشع القلب بما يتجلى له من عظمة الله عز وجل وجلاله ويهيج من النفس الخوف والخشية والحياء منه فيوجل القلب . فاذا خافت النفس أو خشيت فوجل القلب واستحى سكنت الجوارح وملك القلب جوارحه ووقفها (٦) علي الحدود . واذا ترك الرياضة أحاطت (٧) بالقلب فوران الشهوات ، وحلاوتها وزينتها كالدخان والغيم فلم يستبن (٨) في الصدر إشراق الأنوار ، وانكمنت الانوار بما فيها من السرور والبهجة والزينة والحلاوة واللذة فلم يتجل في الصدر نور العظمة والسلطان ، وافتقد صاحبه الخوف والخشية والحياء أن يعملوا علي القلب والنفس (٩) فأصابت النفس نهمتها (٩) بما زين لها العدو ومناها الغرور والأماني الكاذبة . يعدها سعة المغفرة ، ووقارة الرحمة ، وفيض العفو والتجاوز،

(١) ظ : «وكان » — (٢) ظ : « وكان» — (٣) ظ : « جعلها في فمه » — ع : « في فمه» — (٤) ظ : « على» . — (٥) ظ : «لخشعت» . — (٦) ظ : «ووقف على الحدود» . — (٧) ظ : « حاطت» — (٨) ع: «ستين سنة » — (٩) ع : « فاصبت النفس بهمتها » .

ويحدث نفسه بالتوبة ليتجرأ على الذنب .

[الفرح]

[الفرح بالزينة والشهوات ، الفرح بالله ، الظاهر والباطن ، الفرح المحمود ، السير الى الله بالقلوب لا بالاعمال .]

— ٨ —

والأكياس بحثوا عن أصل هذا الأمر فوجدوه (١) على ماذكرنا . فخلصوا الى الرياضة فقالوا : « إنا لما وجدنا النفس تأشر وتبطر وتسمن (٢) على الفرح حتى تصير محال من امتلائها بالفرح بالاشياء كالسكران الذى لا يفيق من سكره ، فكل شيء نالت من الدنيا من حال أو عرض أو مال — مطلق لها أو غير مطلق — فرحت ، فذلك الفرح سم يجرى فى العروق حلاوة (٣) الفرح حتى يشتمل على الجسد ، ويمتلىء القلب منه ، ويصير أشرا بطرا لا يذكر موتا ولا قيامة ولا حسابا ولا شيئا من أهوال القيامة ، فهذا فرح يميت القلب وتستمر (٤) النفس عليه ، وتطيب وتنمو الشهوات وتحتد . فهذا فرح مذموم ذمه الله عز وجل فى تنزيله فقال : « وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع » . وقال : «لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين.» ودل على الفرح المحمود وندب اليه فقال عز وجل : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » . فاذا فرح العبد بما فضله الله عز وجل على سائر العبيد فمن عليه بالمعرفة والعقل ، فاستنار قلبه ، وطابت نفسه ، فتعاونا على الشكر والحمد فاستوجب المزيد — فقال الله عز وجل . « لئن شكرتم لأزيدنكم » — ففرحه

(١) ع : «فوجدوا» — (٢) ظ ع : « تستمر » — (٣) ظ : «وحلاوة الفرح» — ع : «حلاوة الفرح» بعد « ويمتلىء» . — (٤) ع : ناقصه .

بذلك يجلب عليه المزيد . فهذا الفرح ترياق ، وذلك الفرح سم. فمن شرب الترياق لم يضره السم . وانما صار سما لانه [١] زينة ،وفرح من جنس النارو باب النار ، وهو حظ ابليس . فجاء به الهوى مع العدو الى هذا الآدمي بهذه الاشياء الدنيوية ليبتليه أيفرح بهذا [٢] أو يستعمله معرضا لاهيا ، أو يقبل على ربه عز وجل وداره التي مهدت [١٠٢] له . فقد قال عز وجل في تنزيله: « زين للناس حب الشهوات » ثم ذكر النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث . ثم قال: « ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» .

فاذا فرح العبد [٣] بهذا المزين الذي قد خلص حب تلك الزينة وشهوتها الى قلبه، وسباه [٤] الفرح فاته حسن المآب . وقد وصف عزوجل حسن المآب فقال : «قل أأنبئكم بخير من ذلكم » ثم بين لمن هي فقال : «للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار » فوصفها بما فيها . ثم بين المتقين من هم فقال عزوجل : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار . » وقال عزوجل : « لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . » فمن شغله الفرح بهذه الزينة وملك قلبه حب هذه الشهوات فقد الهاه عن ذكر الله عزوجل وفاته التقوي والصبر والصدق والقنوت وحجزه عن الاتفاق ونومه عن الاستغفار بالأسحار .

فالرائضون راضوا أنفسهم وأدبوها بمنعها الشهوات التي اطلقت لهم ، فلم يمكنوها من تلك الشهوات الا مالا بد منه كهيئة المضطر حتي ذبلت النفس وطفئت حرارة الشهوات [٥] . ثم زادوها منعا حتى ذبلت واسترخت [٦] .

---

(١) ب ، ع: «لانها» — ظ : «لانه» — (٢) ظ : «بها» — (٣) ظ : ناقصة . — (٤) ع: «سباه» — (٥) ظ : «شهوة» — (٦) ظ : «حتي» ناقصة.

فكلما منعوها شهوة أتاهم الله عزوجل على منعها نورا في القلب ، فقوي القلب، وضعفت النفس، وحي القلب بالله جلّ ثناؤه ، وماتت النفس عن الشهوات حتي امتلأ القلب من الأنوار وخلت النفس من الشهوات ، فأشرق الصدر بتلك الأنوار ، فجلب علي النفس خوفا وخشية وحياء ، واستولي علي النفس وقهرها

والولايات علي النفوس من القلوب بالأمر التى أعطيت القلوب (١) بما فيها من المعرفة . فعلى حسب تأديب القلب للنفس ينال القلب ولاية وسلطانا . فاذا أشرقت الانوار من القلب فى الصدر ، وخلا الصدر من دخان الشهوات أبرز القلب سلطانه ، فانقادت النفس وسلست والقت بيديها سلما ، وانكمن العدو فاختسأ . فمن لم يرض نفسه علي ما وصفنا ، وأعطاها مناها من الحلال ، وانكمش فى اعمال البر مستظهرا به عجل له ثواب أعمال البر فى العاجل نورا . ففى الصدر ذلك النور ، وليس له من القوة ما يمنع النفس من قضاء الشهوة ، فيمضي في شهوات الحلال بلانية فيتعطل ويبقى بلاحسبة ولا أجر ، ومعه فساد الباطن من حب الدنيا ، والرغبة والرهبة من المخلوقين ، وخوف فوت الرزق ، وخوف المخلوقين ، والحسد والحقد ، وطلب العلو ، وطلب العز والجاه ، وحب الرئاسة وحب الثناء والمدحة ، والكبر والفخر ، والصلف والغضب ، والحمية وسوء الظن والبخل والمن والأذي ، والعجب والاتكال علي العمل ، ودواهى كثيرة . فكم من فعل سيء يظهر على أركان هذا مع هذه الدواهى ! ففساد القلب وخراب الصدر من الفرح بالدنيا وأحوال النفس . كلما ازدادت النفس فرحا بهذه الاشياء قويت واحتدت واشتد سلطانها حتى تصير شرهة أشرة بطرة مستبدة . فاذا هويت شيئا من الشهوات لم يملك القلب من أمرها شيئا ، ولم يتورع عن الحرام . وإن تورع من الحرام لم يتنزه عن الفضول .

---

(١) ظ : «بالأمن الذي أعطت القلوب» .

تناول ما احتاج اليه على غفلة وفقد النية والحسبة . وإن تناول بنية وحسبة تناول على فقد ذكر المنة. وإن تناول على ذكر المنة تناول على فقد رؤية المنة واللطف والبر . فهو أبدا فى نقصان في أى درجة كان ، لأنه محجوب عن الله عزوجل . وإنما حجبه عن الله عزوجل الفرح بغير الله عزوجل .

- ٩ -

والفرح (١) المحمود على ضربين : فرح بالله تعالى ، وفرح بفضل الله ورحمته (٢) . فالفرح بفضل الله ورحمته ذكرُ النفس معه . والفرح بالله قد غاب ذكرُ (٣) نفسه فى ذكر مولاه . فقال عزوجل في تنزيله : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا » وقال فيما روى : « قل للصديقين بى ففرحوا (٤) وبذكري فتنعموا » فانما يفرح (٥) بذكر الله عزوجل [١٠٢ ب] حين يرى (٦) منته عليه . وإنما يفرح بالله عزوجل من وصل الي الله عزوجل ، ومن كان مرعاه بين يديه في ملك من ملكه . والواصلون الى قرب الله عزوجل مرعاهم تحت العرش فى محل القربة .

فالأكياس ساروا (٧) الى الله عزوجل في هذا الطريق ، وتوقوا كل فرح. فسواء فرحوا لشيء من الدنيا او بشيء (٨) من أعمال البر (٩) قالوا : « إنما فساد قلوبنا من فرح النفس ، لأن النفس إذا فرحت بشيء (١٠) استولت علي القلب فلم ينفذ له شيء ، فليس لنا (١١) التمييز بين الأعمال ، لأننا لا نسير الى الله عزوجل بالأعمال إنما نسير اليه بالقلوب نزاهة وطهارة» . فانما يدنس القلب بأفراح النفس ، ويصير القلب محجوبا عن الله عزوجل.

---

(١) ظ : « والفرح » — (٢) ع : « برحمته » — (٣) ظ : « عن ذكر نفسه » (٤) ع : « قل للصدقين لي قل فرحوا » . — (٥) ع : « روح » — (٦) ع : « ترى » — (٧) ب ، ع : « صاروا » — (٨) ع : « شيء » — (٩) ع : « البرة » (١٠) ع : « شيء » — (١١) ع ، ظ : « بنا » .

فكانوا يصونون قلوبهم عن الفرح بكل شيء دق أوجل للضرر (١) الذى يحدث عنه .

ومن جهل هذا الباب توقى الحرام والشبهات (٢) وانكمش فى أعمال البر . فهو في الظاهر عامر وفى الباطن خرب . (٣) لأن النفس تشارك (٤) القلب في تدبير العمل . فاذا شاركت أخذت بنصيبها — والهوى مقرون بالنفس — فلا (٥) يخلص العمل لصاحبه أبدا .

[الوله]

[الوله بالفرح . الوله بالله . مقام القلوب ومحلها . الابتلاء بالفرحين .]

-١٠-

وإنما صار هذا هكذا لأن (٦) الله عزوجل أوله قلوب العباد الى الوحيته ، فمن صان قلبه عما تورد النفس عليه بقي قلبه مع الله عز وجل في جميع الأحوال فهو أبدا واله بالله .

والوله تعلق قلبه به . ومن لم يصن قلبه حتي أوردت عليه الهوي من باب النار فقد صار وَلَهُ قلبه الى الهوى . فالصائن (٧) أوله قلبه الله بافراحه وحبه . والتارك للصيانة أوله قلبه الهوي بأفراحه الى باب النار ولحب (٨) تلك الزينة . فالكيس لما أبصر هذا التدبير من الله تعالى : أنه خلق الادمى هكذا — جعل فيه قلبا ونفسا ، ثم جعل للقلوب (٩) محلا في عظمته ، حتى تسير القلوب الى ذلك المحل ، فيكون مقامها هناك ، حتى إذا صار القلب الى ان يستعمل جوارحه استعملها بذكره معظما لشأنه ، حافظا لحدوده فى جميع حركات جوارحه ، مؤتمرا بأمره

---

(١) ظ « الضر » . (٢) ع ، ظ « الشبهة » — (٣) ظ: «خراب » — (٤) ع : « يشارك » — ظ : « شاركت » . (٥) ظ : « لا » — (٦) ع : « لأنه » . (٧) ظ : « والصائن » (٨) ظ : « وبحب » — (٩) ع : « للطرب ».

متناهيا عن نهيه وإن دق ، مراعيا لتدبيره ، راضيا بحكمه — وذلك كله لقوة (١) ما يلاحظ من عظمته وجلاله بين يديه فيخشاه ويتقيه ويخافه ويرجوه ويستحي منه ويهابه ويعظمه . وخلق بباب النار هذه الأفراح والزينة ، من النار ، وخصت (٢) النار بها ، ثم خلق الهوي — وأصله من الشيطان — فرّ (٣) بهذه الأفراح الى نفس هذا الادمى ، حتى تستعمل النفس هذه الاشياء الملائمة لها اللينة فى ذاتها الناعمة (٤) لجسدها بذلك الفرح (٤) — فابتلي عباده بهذين الفرحين : فرح هناك بين يدي عظمته ومحل القلوب ، وفرح هاهنا يورد (٥) الهوى فيزيله الهوى عن ذلك الوله الذي في ذلك المحل فيرده من هناك الى ما هاهنا (٦) — فمن التفت (٧) عن ذلك الوله الي هذ الوله حجب عن الله عز وجل وبقى عن الوله ، ورجع قلبه بما (٨) رجعت النفس الى هذا الوله الذى أولهه الهوى فخاب وخسر . ولذلك حذر الله عزوجل عباده فقال : « يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولاأولادكم عن ذكر الله . » ثم قال : « ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . » فلم يعب المال والولد وانما عاب الوله بالمال والولد . لأن الفرح والوله بالمال والولد يلهيه عن ذكر الله تعالي إذا لم يكن فيه فرح بفضل الله وبرحمته ، ودعاه الهوى الى أن يفرح بالمال لزينة الدنيا وبهجتها ولذتها ، وبالفرح بالولد ليلعب به ، وليلهو ويتزين به ويستظهر به ، ويعتضد. فصار المال والولد فتنة لحبه إياهما . فلم يحب المال من أجل أنه عون له علي طاعة الله عزوجل ولم يحب الولد من أجل أنه غصن من شجرته (٩) خرج ليعبد مولاه فيكون له جاهٌ (١٠) عند الله عزوجل بما يعبده ولده ، ولكنه أحبهما للتكاثر

---

(١) ع : « بقوة » — (٢) ظ : « حفت » بدون عطف . (٣) ع: «فر» — ظ: «من هذه» — (٤) ع : ناقصة . (٥) ظ : « يريد » — (٦) ظ : « الى هاهنا » — (٧) ع : « التعب » — (٨) ظ : « لما » — (٩) ع : « غض من شجرته » (١٠) ظ : « جاها »

والتفاخر والتعاضد تزينا بها عند أهل الدنيا كما قال عزوجل في تنزيله : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » . ثم قال عزوجل [١٠٣] في تنزيله : « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا » فمن أحبها للزينة وفرح بها كان (١) فرحه للدنيا وكان وله قلبه الى الهوى لا الى الله عزوجل . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تحت أديم السماء إله يعبد من دون الله عزوجل أبغض الى الله من الهوى . » وقال عزوجل : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . » فلما اتبعوا الشهوات ولم يروضوا نفوسهم انقطعت القلوب عن محل الالوهية الى الهوى ، ففرحت بما أورد الهوى عليها (٢) من دنياه فضاعت الحدود وذهبت العبودية وخانوا الأمانة فماتت قلوبهم عن الحياة بالحى القيوم .

وروى عن مالك بن دينار رحمه الله : « قال : مكتوب فى بعض الكتب إن سرّك أن تحيى وتبلغ علم اليقين فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات (٣) الدنيا فانه من يغلب شهوات الدنيا يَفْرَق الشيطان من ظله » ، فهذه شهوات الدنيا اذا كانت مع الهوي .

— ١١ —

فأما اذا تناولها وكان وله قلبه بين يدى الله تعالى فى ملك العظمة كان على سبيل نبي الله سليمان عليه السلام ، ملك الدنيا شرقها وغربها وقلبه أخشع القلوب لله عزوجل فلم يضره فقال « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » ثم قال : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » ، فانما ارتفع الحساب عنه لأنه تناولها وكان وله قلبه الى الله عزوجل ، فقد كشفنا عن هذا الأمر بأن قلنا إن قلب

(١) ع : « وكان » ب : بياض — (٢) ع: ناقصة — (٣) ظ : « شهوة » .

هذا العبد موقوف بين (١) يدي الوله الى محل العظمة ، وبين (٢) الوله الي الهوى الى محل باب النار . فى العظمة أفراح وزينة ، وبباب النار أفراح وزينة . فتلك الأفراح بالقلب . وهذه الأفراح التى بباب النار في النفس . والذي يورد هذه الأفراح علي القلب هو نور المعرفة ، ونور العقل حتي يشخصا ببصر قلبك الى نور العظمة فيرجع (٣) عليك مع الأفراح . والعباد (٤) موقوفون بين هاتين الحالتين والانسان (٥) منذ سقط من بطن أمه غذى بالشهوات (٦) ، كلما نشأ نشأمعه فرح . وذلك فرح وجود اللذة والنعمة وفرح الحياة بما فيها من الزينة والبهجة . فلما شب وعقل قامت عليه الحجة فاقتضى الوفاء بالاسلام وهو الأمر والنهى . فأراده قلبا فاستعصت عليه النفس فاحتاج الي مجاهدتها حتى يقيم أمر الله عزوجل ويفى بالاسلام الذى قبله ، ويسعد (٧) غدا بجنته وجواره لأنه دعاه دعوة الي الله عزوجل حين قال : « ففروا الي الله » . ودعاه الي دار السلام حين قال : « والله يدعو الى دار السلام » .

[القلوب والجوارح]

[حفظ الجوارح السبع . الفرح بالجنة . الفرح بأعمال البر . الفرح بالله . الصادقون والصديقون]

— ١٢ —

فصار أهل المجاهدة فرقتين : فرقة حفظت الجوارح وأدت الفرائض وسارت (٨) الى الله تعالي قلبا فلم تعرج (٩) علي شيء حتى وصلت إلى الله عزوجل ،

(١) ع : « من » — (٢) ع : « من » — (٣) ظ : « فرجع » — (٤) ع : « فالعباد » (٥) ع : « كالانسان » — (٦) ظ : « شهوة » (٧) ظ : « سعد » — ع : « منعد » — (٨) ظ : « صارت » (٩) ظ : « ترجع » .

وفرقة حفظت الجوارح وأدت الفرائض بجهد وتعب وكد (١) ومحافظة وحراسة ومع ذلك تخليط ومبافت في الخطايا وأدناس (٢) لا يستطيع أن يسلم منها. بمنزلة راع أعطى سبعة أغنام ليرعاها في سبعة أودية . وفي تلك الأودية سموم قاتلة وحرف ضارية ، وسبع ضارية فهو قائم على أكمة مراقب (٣) لتلك الاغنام . فإن رتعت سمنا بدرهما بالزهر والسمن واللبن حتى يردها الى العافية وإن تردت في حرف فتكسرت عمد الى ما تكسر منها فجبرها حتى تجبر . وإن عرضت لها السباع ذادها وطردها ، وإن وحدها فريسة استلبها من مخالبها وأنيابها فداواها حتى تبرأ .

فوكل العبد بحوارحه السبع ليحفظها عن أن تتعدى الحدود . فإنه اذا تعدى الحدود عصى ربه عز وجل وخان الأمانة وظلم نفسه وسقطت منزلته وبعد عن الله عز وجل . وإذا بعد عنه تباعد عن الرحمة وصار مرفوضا محذولا فأسره العدو وذهب به الى النار . لأنه إذا أسره العدو دهمته هوة القلب واستولت النفس فمنعت في كل شهوة حرام لم تنل حلالا ولا حراما فهلكت . فهذا شأن العبد في حفظ الجوارح . قال الله عز وجل : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . ثم قال عز وجل : « اولئك في جنات مكرمون » .

حدثنا (٤) صالح بن عبد الله أنا جرير عن ليث عن ابن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (٥) قال « أول ما خلق الله عز وجل من الانسان فرجه فقال له : هذه أمانة حباتك عندك فلا تبتذل (٦) منها شيئا الا بحقها. » [١٠٣ ب]

فالفرج أمانة والبصر أمانة واللسان أمانة واليد أمانة والرجل أمانة والبطن

(١) ع : «كل» — (٢) ظ : « والادناس » — (٣) ظ : «مراقب» (٤) ع : «فحدثنا» — (٥) ظ : «عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. » — (٦) ب،ع : « تبتذل » .

أمانة . فانما بدأ بالفرج لان جميع الأفراح تجتمع عند استعماله وهو أقوى اللذات وبه دخل النار أهله . «وقيل يارسول الله ما يدخل الناس النار » قال : «الأجوفان : البطن والفرج ». وانما خبأ عند عبده يعني آدم عليه السلام لانه بدء الفرح (١) ، وهو سر الله عزوجل مقرون بسر القلوب (٢) ولا ينكشف الا لاهل الجنة فيها (٣) . فأمرنا بستر العورة لذلك ، لانه خلق مستورا (٤) خبأه الله عز وجل عندنا وأمرنا بحفظه وسماه سوأة . فحرص العدو علي أن يهتك ذلك الستر حتي يبدو (٥) لنا . وقبل ذلك كان مستورا عن آدم وحواء عليهما السلام . وانما بدا بالمعصية — قال الله عز وجل : « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما . » فانما صير كل جارحة من هذه السبع أمانة عندنا لأن كل جارحة ذات شهوة . ومجمع الشهوات فى النفس فاذا استعمل هذه الشهوة باذن الله وبلغ (٦) به الحد الذى حده له فهو مطلق له . واذا تعدى الى المحظور صار ملوما . قال الله عز وجل : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » — ثم اثنى عليهم فقال : « والذين هم لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين .» فازال الملامة عن استعماله فى نكاح أو ملك يمين . ثم قال عز وجل :« فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » . فذم من جاوز الحد . وكذلك فى كل جارحة علي هذه الصفة .

فالراعي يحفظ هذه الأعضاء حتي يصلح ما فسد منها علي ما وصفنا . فذلك الذي وقف بمجاهدته علي نفسه بحفظ (٧) جوارحه علي الحدود في النظر والكلام والاستماع والأخذ والاعطاء والبطن والفرج . فاذا زل أو غلب أو نسي أو

---

(١) ع : «الفرح» — (٢) ط : «القدر» — ع : « مقرون سر القدل » —
(٣) ظ : ناقصة — (٤) ظ : «مستور» — (٥) ظ : «تبدو» — (٦) ظ : «بها»
(٧) ظ : «فحفظ» .

غفل عاد الى مركز الطاعة بين يدى ربه عز وجل بالاستغفار والتوبة . فهـذا عبد فى جهد (١) الاستقامة وباطنه غير مستقيم لأن شهوات نفسه قائمة بين يديه فهو يمنعها بجهد ومتى ما غفل عنها زل وسقط . فطريق هذا العبد الى دار السلام ليس له وراء هذا مسلك . وأما الذي راض نفسه فمنعها الشهوات واللذات حتى طهر قلبه ، واستوجب القربة بطهارة القلب ، وآثر الفرح بالله على الفرح بما أورده الهوي على نفسه من أفراح الدنيا ففتح الله عز وجل له طريقا اليه فسار سيرا لم يلتفت الى دار السلام ، لأنه لما أخذ في الرياضة أخذه بصدق ، فلم يقف فى الطريق على شيء مفروح به ، ولو كان بأسنى عمل من اعمال البر (٢) لأنه اذا ذوق الفرح بلذات الدنيا وشهواتها أمد القلب بالنور وهان عليه رفض الشهوات حتى اذا انكمش في أعمال البر فرح القلب بتلك الاعمال ، فينبغى له أن يتوقى (٣) تلك الأفراح ايضا ، وينتقل من عمل الى عمل ليقطع عن النفس فرحها بذلك العمل . لأنها اذا فرحت بعمل من أعمال البر اطمأنت الى ذلك العمل . فاذا اطمأن (٤) الى شيء دون الله عز وجل فقد ترك سيره اليه ، ووقف على ذلك العمل ، فاقتضى منه صدق ذلك العمل فلم يوجد عنده صدقه ، لأن النفس تأخذ بحظها من ذلك العمل ، وهو أن تجد حلاوة حب الثناء والمدحة (٥) لذلك العمل . فهو وإن اخفاه وستره علمت نفسه أن الناس يحسون بذلك (٦) منه ويشعرون به . فيأنس بعلم الناس وملاحظة أعينهم اليه فلا يصفو له عمل ولا يقدر أن يخلص بأكثر من هذا . فيقبل منه اذا رد الذى عرض له من ذلك ـ قبول الصادقين لا قبول الصديقين .

- ١٣ -

فينبغى للمبتدىء في هذا الأمر أن يبدأ بالصوم فيصوم شهرين متتابعين

(١) ط : « صبر » — (٢) ظ : « من الاعمال لانه » — (٣) ظ : « تتوقى » - (٤) ظ : « اطمأنت » — (٥) ظ : « المحمدة » - (٦) ظ : « ذلك » .

توبة من الله عزوجل — وعد الله في تنزيله أن شهرين متتابعين (١) توبة من الله تعالي عزوجل لعبده اذا تابهما — ثم ينتقل من الصوم الي الافطار، فيطعم الكبير من الشيء يتجزأ به . فان كان في اليوم مرارا كسرة كسرة [١٠٤] فهو أجود له من أن يملا بطنه فيصيرها أكلة — وإنما ذلك محمود عند الأطباء فيقول أكلة واحدة كي يستمرء . وذلك لايدخل في هذا الباب لأن صاحب هذا لا يأكل حتي يتخم . إنما نشير عليه بأن يأكل كسرة قوتا فيداري نفسه (٢) علي ذلك . وبين الأيام دسما قليلا لئلا تهيج (٣) عليه الرياح وتضطرب العروق . ويقطع الادام والفواكه عن نفسه . وكذلك في الكسوة يجتزيء (٤) بالدون ومالابد منه . وكذلك في سائر الاحوال التي للنفس فيها حظ من الفرح واللذة تقطعه (٥) عن نفسه . ومجالسة الاخوان والنظر في الكتب . فهذه كلها أفراح النفس وجمامها . وفي الجملة ينبغي له أن يتفقد كل حال وكل أمر للنفس فيه فرح واستبشار من نعمة أو وجود لذة . أو أنس بشيء فيقطعه عنها . فانه كلما هويت النفس شيئا أعطاها فرحت بذلك . فينبغي له أن يمنعها ولو شربة من ماء بارد تريد أن يشربها فيمنعها (٦) في تلك الفورة التي تشوقت (٧) لوجود بردها ولذتها حتي تسكن (٨) تلك الفورة ، وينغص عليها ثم يسقيها بعد ذلك، حتي يملأها غما ويوقرها هما . لأن من شأنها اذا حبس عنها هذه الأفراح بهذه الأشياء وبهذه الأحوال — فكأنه يصيرها في سجن فيتقرب الى الله عزوجل بغمها وهمها — فيعجل الله عزوجل له ثوابه نورا علي القلب ، فيزداد القلب بذلك النور قوة علي منع النفس شهواتها ، وعلي أخذ سلطانها ، ويستولي عليها وهي (٩) تذل وتذبل ، والعدو يخسأ ويتحير ، ويبطل كيده ومكره . حتى اذا

(١) ب ، ع : ناقصة (٢) ظ : ناقصة (٣) ظ : « يهيج » — (٤) ظ : « يجتزا » (٥) ظ : « يقطعها » (٦) ظ : « فيمنعها » — (٧) م : « تشرفت » (٨) ظ : « تكسر » (٩) ظ : « فهي »

انتهى الى أعمال البر فكل عمل يراها تفرح به وتأنس به يقطع [١] عنها ذلك العمل. حتى أنه لو قرأ القرآن فرجع فيه وغني منعها ذلك لأنها متى وجدت شيئا مفروحا به أنست واطمأنت اليه ، ومدت القلب الي ذلك الانس . فمتي يصل القلب الي الأنس بالله عزوجل والطمأنينة اليه ، والوله الي عظمته ، وصفاء الحب له فهذا صدق المريدين ربهم عزوجل ، والسائرين بالصدق اليه ، والطالبين له في منازل القربة . فينبغي [٢] أن يتقي كل فرح للنفس فيه نصيب حتى يصل الي ربه تعالي . فاذا وصل الي ربه عزوجل امتلأ قلبه به فرحا وسروراً ويقينا . فكل شيء مد اليه يدا من دنيا أو آخرة لم يضره لأنه منه يقبل فاذا قبل منه حمده عليه وشكره وكانت [٣] جوارحه مستقيمة حافظة للحدود معتصمة [٤] بخوف الله عزوجل ، ولسانه ذاكر ، وبدنه شاكر صابر لأنه امتلأ قلبه بالله فرحا ، فلم تجد أفراح الدنيا فيه مكانا . فاذا فرح بشيء من الدنيا فانما يفرح بما الله عزوجل له بذلك وتقديره وتدبيره ولطفه ، ولايخون أمانة ولايكفر نعمة ولا ينسى ذكره ولايحدث عيبا . فاستعمال [٥] جوارحه في ذلك الشيء بمنزلة رجل شرب ترياقا فامتلأت عروقه منه فان مديده الي حية أو عقرب لم يضره سمها ، لأنه لم يجد السم مسلكا الي عروقه . واذا لم يجد الترياق وجد السم مسلكا الي العروق فجمد الدم الذي في العروق من ذلك السم فمات . فكذلك أفراح الدنيا تجري في العروق مجرى الدم فتشمل الجوارح كلها وتأخذ القلب فتسبيه [٦] فاذا دخلت الأنوار القلب بما [٧] راض نفسه بهذه الرياضة التي ذكرنا عجل له ثواب رياضته فانشرح [٨] الصدر وانفسح ، فصارت الآخرة له كالمعاينة ، ولاحظ للملكوت بتلك العين ، عين الفؤاد ، في فسحة ذلك النور

---

(١) ظ: « فينقطع » — (٢) ظ: « ينبغي له » — (٣) ظ : « فكانت » — (٤) ظ : « ومعتصمة » — (٥) ب ، ع : « في استعمال » (٦) ظ : « تستبيه » — (٧) ظ : « الى » — (٨) ظ: «وانشرح».

المشرق في الصدر ، فرأى شأنا عجيبا من عظمة الله عزوجل وجلاله ، ورأي من لطف الله عزوجل بالعبيد وبره بهم وإحسانه اليهم ومنته عليهم فامتلا القلب به فرحا ، وجرت الأفراح في العروق حتى امتلأت ، فمتي يجد بعد ذلك أفراح الدنيا مسلكا في عروقه حتي يكون لذلك الفرح سلطان يأخذ القلب فيسبيه[1] ، فعندها يمد يده الي ما أحل له من الطعام والشراب واللباس والنكاح والاحتواء الي ما قدر له من دنياه ، فيقبله من ربه عزوجل علي تدبيره الذى دبر له . فمن أخذ أخذ بحق ، وإن أمسك أمسك بحق ، وإن أعطى أعطى بحق وقلبه حر من رق النفس [١٠٤ ب] وفتنة ذلك الشيء . وذلك العمل بمنزلة رجل له ملء بيت دنانير يملكها . فان أعطاه رجل صرة فيها عشرة دنانير (٢) لم يعمل في قلبه فرح تلك العطية عملا يؤثر أثرا ، ولا يستبين . وإن كان عنده تلك العشرة فسقطت منه حتى تويت لم يبد عليه ضرر ذلك ، ولا عمل علي قلبه حزن ذلك . ولا هو فرح بما أصاب ولا حزن علي ما توى وذهب لامتلاء قلبه بفرح تلك الدنانير التي هي ملء بيت . فكذلك من فرح قلبه بالله عزوجل استغني بالله (٣) عزوجل ، فلا (٤) يملك قلبه (٤) بعد ذلك أفراح (٥) الدنيا لانه لا يستغني بالدنيا إنما غناه بالله تعالي . وهذا تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الغني عن كثرة العرض ، إنما الغني غني النفس » اذا استغنت فعندها يغني القلب المشرق نوره في صدره . فاذا اطمأنت النفس بما أشرق فيها من النور بالله عزوجل — أشرق النور فيه الى الله عزوجل — فقد دق عندها نوال الدنيا من أولها الي آخرها في (٦) جنب ماعاين القلب وأورد من حياة علي النفس . فهذا شأن النفس اذا وصلت الى ربها عزوجل بوصول القلب . فانا قلنا إنه لا يدع قراراً علي شيء من أعمال البر فكلما فرحت النفس بشيء من

(١) ظ : « فيستبيه » — (٢) ع : ناقصة . (٣) ظ : « استغني قلبه بالله » — (٤) ظ : ناقصة — (٥) ظ : « عن افراح » — (٦) ظ : « من » .

الدنيا أو بعمل من أعمال البر قطع عنها ذلك الفرح حتى يغمها ، حتي يطهر القلب من أفراح النفس ، فهناك يرحم ، لأنه اذا وصل الى هذه المرتبة بقى بلا أنس ولا فرح ، قد قطع نفسه عن أفراح الدين والدنيا . فهو يحفظ جوارحه عن كل مانهي الله عنه وعن كل شيء من الفضول فيقيم الفرائض والسنن لايزيد عليها . كفى بهذا شغلا ! ولذلك قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : « أد ماافترض الله عليك تكن أعبد الناس ، واجتنب محارم الله عزوجل تكن من أورع الناس وأحب للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمنا ». فهذا المؤمن المستكمل للمستحق لاسم الايمان عند إقامة هذه الخصال الثلاث . فكفى بهذا شغلا !

فهذا عبد صدق الله عز وجل فى العبودية . وأما سائر الناس من غير أهل هذه الصفة فبم متخبطون بطالون يعبدون الله عز وجل علي الشايذبوذ. قد طابت أنفسهم ، ولذات (١) أهواتهم . وروى لنا أن داود عليه السلام قال « يارب أمرتني أن أطهر بدنى بالصوم والصلاة فبم أطهر قلبى ؟ قال بالهموم والغموم ياداود ! »

[تطهير القلب]

[الهموم والغموم . جهاد الصديقين . المعرفة والعقل . انواع العبادة . الفرح بالله والحزن .]

- ١٤ -

فانما يتدنس القلب بالأفراح — أفراح النفس — فلا (٢) يطهره مثل عمر نوح صوما ولا صلاة (٢) . إنما يطهر الصوم والصلاة أدناس الأركان بالمعصية وانما يطهر القلب ما يزيل عنه أدناس الفرح وهو الغموم والهموم . فلما منعت

---

(١) ظ : « بلذات » — (٢) ظ : « فلا يطهر منذ عمر نوح صوم ولاصلاة » .

النفس شهواتها ذبلت، وطفيء [١] تلظي شهواتها وفوران دخان هواها، فزالت أدناس الفرح من القلب بذهاب الفرح وطهر بالأنوار التي ولجت القلب- بمنزلة سحائب تحجبت بظلمتها وبما فيها من العبرة عن الشمس فلما انقشعت السحائب وتبددت أشرقت الشمس - فعندها يصلح [٢] تقرب الله عز وجل. قال الله عز وجل: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة». «فالوسيلة» و « الوصيلة » بمعنى واحد. الا أن «الوصيلة» أن يوصل [٣] الشيء بالشيء. فلما صار الأمر الى ذكر الرب عز وجل أخرجوه مخرج القربة فقيل «وسيلة» بدل [٤] « بالسين» «صدا» و «بالصاد» «سينا». فيكون له من الالفاظ أشرفها وأعلاها وأنزهها. فأمرهم بابتغاء الوسيلة اليه بالتقوى لجماع التقوى هو - وصفنا: أن يتقي [٥] الفرح في كل شيء تجد النفس في ذلك الشيء فرحا، من كلام أو صيام أو قيام [٦] أو قعود أو ذهاب أو مشي أو لباس أو طعام أو شراب أو صاحب أو أهل أو ولد، الا فيما لا بد منه كالمضطر. فاذا فعله على تلك الهيئة فعله على الاهتمام والاغتمام أو مع الحزن. لأنك تجد ذلك الفعل لله عزوجل خالصا [٧] لا تجد النفس من ذلك الفعل حظها. فأنت تفعل ذلك الذي لا بد منه فتكسر عليه فرحا ونشاطها؛ فذلك التخليط الذي ترى في أمرك قبلها حتى يدوم عليها الغم والهم. فجاهد [١٠٥] الصديقين في هذا أن يتقوا الفرح بشيء سواه [٨] حتي أوصلهم الى قلبه بعد أن امتلأت صدورهم غموما وهموما. فلما أوصلهم قربهم ومكن لهم بين يديه، وملأهم فرحا فاشتاقوا اليه فقربهم فازدادوا شوقا؛ كلما زادهم قربة اشتد شوقهم وازداد حتي عطشت قلوبهم، فامتلأت قلوبهم [٩] أحزانا حتى قطعوا الحياة والعمر بالأحزان.

---

(١) ب،ع : «طفئت» — (٢) ظ : « تصلح » (٣) ظ : « توصل » — (٤) ظ: « تبدل » — (٥) ظ ، ع : « يتقي » - (٦) ظ : ناقصة — (٧) ع : « حال صا » — (٨) ع : « بغير سواه » — (٩) ظ : ناقصة.

وروى في الخبر قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الأحزان والفكر » وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما عبد الله عز وجل بمثل طول الحزن » وحق لمثل هذا أن يحزن فانه وصل بقلبه الى رب ماجد كريم فرأي عظمته (١) وجلاله ، وعظمًا وبرا ، ونال منه حياء فلم يشف الوصول اليه وتلك القربة ، وذلك الفرح به دون رؤيته في الجنة . عن (٢) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن من أمن الناس بوائقه . والورع سيد العمل ، من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله عز وجل اذا خلا بها لم يعبأ الله عز وجل بشيء عمله شيئا ». فذلك مخافة الله عز وجل في السر والعلانية والاقتصاد في الفقر والغني والصدق عند الرضى والسخط . الا أن المؤمن حاكم على نفسه يرضي الناس مما يرضي لنفسه . والمؤمن حسن الخلق . وأحب الخلق الى الله عز وجل أحسنهم خلقا . وينال بحسن خلقه (٣) درجة الصائم القائم وهو واقد على فراشه لانه قد رفع لقلبه علم فهو يشهد مشاهد القيامة بقلبه ، يعد نفسه ضيفا في بلته ، وروحه عارية في بدنه (٤) . ليس بالمؤمن حقا من لم يكن لحلاته علي نفسه ، الناس منه في عناء ، وهو من نفسه في عناء ، رحيم في طاعة الله عز وجل ، بخيل علي دينه ، حيي مطواع - وأول ما فات ابن آدم من دينه الحياء - خاشع القلب لله عز وجل ، متواضع قد بريء من الكبر ، قائم على قدميه ينظر في الليل والنهار ، يعلم نفسه في هدم عمره . لا يركن الى الدنيا ركون الجاهل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا جرم أنه اذا خلف الدنيا خلف الهموم والاحزان . ولا حزن علي المؤمن بعد الموت بل فرحه وسروره مقيم بعد الموت » .

حدثنا عبد الجبار بن العلاء نا (٥) يوسف بن عطية قال سمعت ثابت البناني

(١) ب ع : « عظمة » - (٢) ظ : « روى عن انس » — (٣) ظ : « الخلق »
(٤) ظ : « بدنه » — (٥) ظ : « ابن » .

يذكر عن أنس بن مالك قال : « بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يمشي اذ استقبله رجل شاب من الأنصار فقال له النبي صلي الله عليه وسلم : كيف أصبحت ياحارثة — قال : أصبحت مؤمنا بالله عزوجل حقا ! قال : أنظر ماتقول فان لكل قول (١) حقيقة . — قال : يارسول الله ! عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني (٢) بعرش ربي عزوجل بارزا، وكأني أنظر الى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، والى أهل النار كيف يتعاوون (٣) فيها — قال : أبصرت فالزم ! عبد نورالله تعالى الايمان في قلبه — فقال : يارسول الله ! ادع الله عز وجل لي بالشهادة — فدعاله رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فنودي يوما في الخيل فكان أول فارس استشهد وأول فارس ركب . فبلغ أمه فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ! أخبرني عن ابني إن يك في الجنة لم أبك عليه ولم أحزن وإن يك غير ذلك بكيت عليه ما عشت في الدنيا — فقال يا أم الحارث ! إنها ليست جنة ولكنها جنان . وإن الحارث في الفردوس الاعلي . فرجعت وهي تضحك وتقول : بخ بخ ياحارثه ! » . قال أبو عبد الله رحمه الله فانما وصل هذا العبد الى هذه المنزلة بتلك الانوار . ألا ترى الى قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : « هذا عبد نور الله عز وجل الايمان في قلبه » . حدثنا أبي نا محمد بن الحسن المكي عن عبد العزيز بن أبي دواد (٤) — رفعه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم — بمثل حديث يوسف إلا أنه قال « لكأني أنظر الى ربي عزوجل فوق عرشه يقضي بين خلقه. » فقد أعلم أن الايمان في القلب لا يستنير في الصدر لاحاطة غيوم الشهوات ورين (٥) الذنوب بالقلب في الصدر حتي اذا تاب العبد صقل قلبه بالتوبة فاذا راضها حتي ينقطع دخان شهواتها [١٠٥ ب] وفوران الهوى جاءت الانوار مدداً

---

(١) ظ : « حق » — (٢) ظ : « وكأني » — (٣) ظ : « يتعادون » — (٤) ظ : « داود » — (٥) ع : « زين » .

للايمان الذى فى القلب ، فصار القلب ذاشعاع وإشراق في الصدر. فذلك عبد نور الله عزوجل الايمان فى قلبه ، فلما نوره استنار فى صدره ، فصدرت الامور الى الجوارح من ذلك النور مع الخوف والخشية والحياء ، فعملت الجوارح على الحدود وللقدار الذي أمر مع البهاء والزينة .

روى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : « أن العبد اذا أذنب ذنبا نكتت(١) فى قلبه نكتة سوداء . فاذا عاد نكتت (٢) أخري فلا يزال تنكت حتى تسوّد القلب كله . فاذا تاب ونزع سقل (٣) قلبه » فانما ينسقل بالأنوار حتي يتجلى كالمرآة المجلية. فاذا صار كالمرآة تراءت له الدنيا على هيئتها والآخرة على هيئتها والملكوت . فاذا لاحظ (٤) فى الملكوت عظمة (٤) الله عزوجل وجلاله صارت الانوار كلها نورا واحدا فامتلأ الصدر شعاعا . بمنزلة رجل نظر فى المرآة فأبصر صورة نفسه فيها ، وأبصر مابين يديه وما خلفه فيها . فاذا قابل بها عين الشمس وقع الشعاع فى البيت فأشرق البيت من تقابل النورين: نورعين الشمس، ونور المرآة . فكذلك القلب اذا جلى فانجلى فلاحظ العظمة والجلال تجلت (٥) العظمة (٦) من الحجاب (٦) لذلك القلب المجلي لأنه طاهر من أدناس المعاصي وأدناس الشهوات وأدناس الهوي والتقى النوران فامتلأ القلب شعاعا فهناك تموت النفس ويخشع القلب .

حدثنا سفيان بن وكيع وقتيبة بن سعيد قالا نا (٧) عبد الوهاب (٨) الثقفي عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحد ولا لحياته،

---

(١) ظ : « نكت » — (٢) ظ : « نكت » — (٣) ظ : «صقل» — (٤) ع : اتت بعد وجلاله . — (٥) ظ : « فلت » — (٦) ع : اتت بعد ذلك . بعد « ونور المرآة » — (٧) ظ : « حدثنا » — (٨) ب ، ع : «عبد الو» ومكان بقية الاسم بياض .

ولكنه اذا تجلي الله عزوجل لشيء من خلقه خشع له » . ولذلك لما تجلى لطور سيناء صارت البقعة التي وقع التجلى عليها كالهباء المنبوث (١) . وما فى جواره ساخت فى الارض فهي تذهب فى تلك البحار التى من وراء الارض الى يوم القيامة فلا تستقر . وما فى جوارها أبعد منه صارت عدة فلق فطارت هربا وفرقا حتي وقعت أربعة منها فى حرم الله عز وجل وأربعة فى حرم الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وحرم موسى صلى الله عليه وسلم صعقا . فصارت الارض كلها ذات بهجة وزينة حتي ظهرت الكنوز على ظهر (٢) الارض وأبصرت العميان وصح كل مريض وبرأ كل زمن وانفتحت (٣) الأرحام فحملت كل عقيم وحلا كل أجاج . فأعلم فى هذا الحديث أن الشمس انما ذهب ضؤها خشعة لله عز وجل . وخشوعها خروجها من سربالها الذي سربلت (٤) به من نور العرش فتهافت الضوء . فكذلك النفس اذا أحست بالتجلى خشعت لله عز وجل وخرجت من جميع شهواتها الى الله عز وجل وتهافتت أفراحها (٥) وطرأت (٦) السرور فصارت ذليلة (٧) كئيبة . فتخلص القلب من ذلك ، وتخلص من أدناسها ، فوجد السبيل الى الله عز وجل بما فيه من المعرفة والعقل فقرب ثم قرب ثم زيد نورا حتي مكن له بين يديه فهو يعبده كأنه يراه . وهو قول جبريل عليه السلام «ما الاحسان ؟» قال: « أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه » . فحسن العبادة مع التراخي . فاذا كان محجوبا فانه يعبد ولا يلتمس الحسن والزينة في العبادة . بمنزلة رجل دعاه الملك ليقطع ثوبا بين يديه ويخيطه . فلا يترك هذا الصانع من حفة اليد وحسن الابتداء ووجازة الفعل وإحكام الخياطة وزينتها الا صنعه بين يديه يريد أن يتحلى بذلك

---

(١) ب : غير واضحة — ع : «المنثورة» — (٢) ع : «وجه» — (٣) ظ : «حل» — (٤) ظ : «التي تسربلت» — (٥) ع : «افتاحها» — (٦) ب . ع : «طرأت» (٧) ظ : «ذابلة» .

عنده فيكتسب به جاها ومنزلة . والآخر رجل دعاه الملك وقال اذهب بهذا الثوب فاقطعه قميصا [١] وخطه واحمله الى حتى أنظر اليه . فلما غاب عنه ترك حفة اليد وحسن الابتداء ووجازة العمل وإحكام الخياطة واتقنه [٢] وزينه لانه ذاكر للعرض عليه . والآخر دعاه الملك فقال اذهب بهذا الثوب فاقطعه وخطه وأنفذه الي فلان الراعي فلما غاب عنه رفع عنه باله فكيفما قطعه وخاطه جوزه [٣] لانه لم يشعر برؤية الملك ولا ذكر العرض عليه وإنما به [١٠٦] ارتفاع العمل فيقول قد عملت وآخذ الأجرة [٤] وإنما جرأه علي ذلك عملته عن رؤية الملك وعن العرض عليه [٤] .

فعمال [٥] الله عز وجل ثلاثة أصناف : عامل يعمل علي التراثي فلا يترك زينة ولا مبدرة ولا سرعة ولا حفة يد ولا طهره ولا تعظيما ولا وجازه ولا مسابقة الا جاء بها يريد أن تتحلى بذلك عند مولاه عز وجل ، وعامل ليس له هذا التراثي وهو محجوب القلب عنه [٦] بالشهوات صدق في ابتغاء مرضاته ذاكر للعرض عليه فلا يتزين ولا يبادر ولا يعظم ولا يسرع ولا يوجز ولا يسابق ولكنه يعمل علي الاحكام [٧] وحفظ الحدود وإتمام الامر بالاركان ، وعامل لا يذكر رؤية ربه عز وجل أنه ناظر اليه في هذا العمل ولا هو ذاكر لعرض الأعمال يوم القيامة فهو يعمل علي الغفلة ، علي التجويز . فهم يعمل كل صنف منهم علي نوره الذي في صدره .

- ١٥ -

جملة ما وصفنا من أمر السير الي الله عز وجل ان يتقي [٨] فرح النفس ،

---

(١) ظ،ع : «قميصا» — (٢) ع : «وتمته» — (٣) ظ : «وجوده» — (٤) ظ : ناقصة — (٥) ظ : «فكذلك عمال» (٦) ظ : ناقصة (٧) ظ : «يعمل عملا على الاحكام» (٨) ظ،ع : «حتى»

أن يتركها حتي تفرح بشيء من أحوالها ، أو يناولها (١) من الدنيا وأعمال البر. كلما ظهر فرحها نغص عليها بالمنع لها والانتقال عنه حتي يملأها غما فيذهب (٢) الفرح الذي يتأدى الى القلب ويظهر النور ، ويظهر في ذلك النور الفرح بالله عز وجل لأن ذلك النور يؤديه الي صفات الله عز وجل والي عظمته وجلاله وجماله وكبريائه وبهائه وسؤدده وكرمه وجوده وبره ولطفه (٣) ومنته وإحسانه ورحمته. فمحال أن يعتقد العبد هذا الفرح حتي يدوم له ذلك ويزول عنه أفراح النفس . ثم يصير في فرحه بالله عز وجل حزينا لأنه محبوس (٤) عنه يرمق الحياة في دار الدنيا ، مشتاق الي ربه عز وجل . قد أنس به واشتاق الى لقائه ، واستوحش من الدنيا وأهلها. فنعيمه ذكر (٥) الله وعبوديته. وموته (٦) راحته ويوم عيده .

[تحريم المعازف والخمر]

- ١٦ -

وتحقيق ما وصفنا من ضرر فرح النفس أن الله عز وجل حرم المعازف والخمر علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم وما نطق به الوحي في شأن الخمر. وذلك أن الله عز وجل لما خلق الفرح وجعل له بابا (٧) فلما خلق الجنة خرجت الأغراس (٨) من باب الرحمة وخرج (٩) غرس العنب من باب الفرح . فلذلك (١٠) أول ما أكل آدم صلى الله عليه وسلم حين دخلها العنب فامتلأ فرحا . «وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أول ما يأكل أهل الجنة من الجنة ؟ — قال العنب ». وأول ما أكل آدم عليه السلام العنب فامتلأ فرحا . ووضع من الفرح في تلك الثمار ، التي فيها الزينة بباب النار ، التي سميت

---

(١) ظ : «يناولها» — (٢) ظ : «يذوب» — (٣) ظ : «لطفه وبره» — (٤) ظ : «محبوسا» — (٥) ع : «روي» — (٦) ع : تزيد كلمة «شهوة» قبل «موته» — (٧) ظ : «بابان» (٨) ع : «الافراح غراس» — (٩) ظ : «وغرس» — (١٠) ظ : «وكذلك» .

شهوت . فجعل ذلك الفرح حظ ابليس حتي يأخذه فيضعه في الاشياء التي يهوي[١] بها الآدميين.

فاما أضل ابليس المشركين بذلك الفرح . فجعل الاشجار وكل معبود من دون الله عز وجل فصوت [٢] منها بذلك الفرح فكل من سمع صوته سبا ذلك الفرح قلبه حتي يجيبه الى الشرك والى عبادته . فهو يرى أنه يعبد الشجرة والوثن[٣] وانما يعبد الطاغوت . وابليس طغى حتي بلغ غاية الطغيان فقيل «طاغوت» وذلك قوله عز وجل : « كل حزب بما لديهم فرحون » . فذلك الفرح لكل حزب من الذي أعطى ابليس حتي أورده على قلوبهم بصوته . وذلك قوله عز وجل : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك . » فصوته مع ذلك الفرح ولولا ذلك ما أحبوه فيهم فرحون بأوثانهم [٤] . وانما يفرحون بالله عز وجل . ولكن غير مبين منهم . وهم يحسبون أنهم مهتدون بذلك الفرح . لانهم تناولوه من ابليس لا من هداية الله تعالى ومعرفته . وان وصل الي غواية آدم صلي الله عليه وسلم بما استفز حواء بصوته من الفرح . وروى في الخبر أنه لما دخل الجنة صوت في مزمار له فرحا[٥] حتى كادت حواء تطير من الفرح . فقالت : « ما هذا الصوت ! » قال : « لسرورى بمكانكما » . ثم قلب المزمار فناح نياحة أحد بقلبها حتي امتلات حواء حوفا . فقالت : « ما هذا ؟ » . فقال «حزنا عليكما أن تعودا أو تخرجا [٦] منها » . فهناك دلاهما علي شجرة الخلد [١٠٦ب] لكي يأكلا منها فيخلدا فيها . ففي وقت الفرح دلاهما علي شجرة الخلد . ولتخويف الزوال دلاهما بغرور حتى ذاقا الشجرة فلما عمّا صارا مجنونين بالهم . فلما ذاقا سوءة من اللباس . وانكشف الغطاء عن الذنب فوليا في الجنة هاربين . فالفرح

(١) ظ : «يقوي بها» — ع : «يطوي بها» — (٢) ح : «وصوت» (٣) ع : «الفرس» — (٤) ع : «اديانهم» — (٥) ظ : ناقصة — (٦) ظ : «تتخرجا» .

خلص(١) العدو اليه حتى أكل من الشجرة فصرعه .

وحرم الله عز وجل الخمر لما فيها من ذلك (٢) الفرح لأن ابليس لما سرق العنب من سفينة نوح صلى الله عليه وسلم وافتقده (٣) نوح صلي الله عليه وسلم جاءت الملائكة حتى يقضى جبريل عليه السلام بينه وبين بني الله صلي الله عليه وسلم علي الثلث والثلثين : فكلما وجده نيا أومطبوخا فيه بقية من حظه (٤) لم تأكله النار خاض فيه يده بفرحه الذى أعطى حتي يتحول ذلك الفرح من يده الي ذلك الشراب . وانما يزبد أويغلي بحرارة يده الملعونة لأنه خلق من النار . فاذا شرب الشارب وقدتحول ذلك الفرح من يده فى ذلك الشراب دب فى هذا الشارب (٥) . وانكمن العقل لتدنس يده ورجاسته . فشاربه يحتمل من مرارته وذهاب عقله وتلف ماله وألم جسمه والآفات التي تحل به فانما يحتمل ذلك كله من أجل ذلك الفرح الذي دب فيه حتي (٦) يصده عن ذكر الله عز وجل وعن الصلاة ،ووجد سبيلا الي ان يحرش بينهم ويغرى بعضهم ببعض. فحرمه الله عز وجل لئلا يفرح بفرح هو حظ ابليس

فكذلك (٧) أصوات المعازف والملاهى تلك أصوات ممزوجة بالفرح الذي بيده . فلا يتذ المستمع به الا بما يمازجه(٨) من الفرح الذى بيد العدو فاذا مازجه وسمع الآدمى هاج فرح منه ودب فى جميع جسده فطرب حتى وثب يرقص (٩) كالقرد. فحرم الله تعالي هذه المعازف للفرح الممازج من حظ العدو فيها. وأطلق هذه الاشياء التي لا غنية بالآدمى عنها مما هو له (١٠) غذاء أومعاش ثم حذره أن يلبيه ذلك الفرح حتى يأشر ويبطر ويتعدي الحدود .

---

(١) ع : «خلق» — (٢) ظ : ناقصـــة — (٣) ظ : «وافتقده» — (٤) ع : «خطه» — (٥) ظ: «الشراب» — (٦) ظ : ناقصة — (٧) ظ : «وكذلك» — (٨) ع : «تمازجه» (٩) ظ : «ورقص» — (١٠) ظ : ناقصة .

فالكيس (١) حسم باب الفرح عن نفسه من كل حلال أو حرام ومن جميع أعمال البر (٢) مما يجد فيه لنفسه (٣) استرواحاً اليه وبه فرحاً حتى ملأه غماً حتى طهر قلبه وتجلت فيه أنوار العزيز المجد الكريم على ما ذكرنا بدءاً .

[معرفة الملائكة ومعرفة الآدميين . العمل والنية]

[خلق الملائكة وخلق الآدميين . سيرته وعمله . الصديقون والصادقون والمخلطون . المعرفة بالأبصار والمعرفة بالقلب . الملائكة والآدميون .]

- ١٧ -

وعريت الملائكة من الشهوات وخواتج الأحداث والأحوال والضرورات فلا يحتاجون الى طعم ولا شراب ولا كسوة ولا (٣) من يستكنون (٣) من الحر والبرد فنجت من فتن الآدميين وضروراتهم ومكايد العدو . وأظهر خلقهم من التدبير بقوله « كن » وعاينهم من ملك الجبروت ومقاومتهم في ملك الجلال . وأظهر خلقه من يده وعاينه من ملك الرأفة والرحمة ومقاومتنا في ملك المحبة .

فالملائكة مجبورون على حال واحد (٤) لا يتحركون ولا يتقلبون عنه والآدميون خدم بين يديه عز وجل يتقلبون (٥) من حال الى حال وكل أحوالهم خدمة . وإنما صار هكذا لأن المعرفة من الملائكة على الأبصار والمعرفة من

---

(١) ظ : « والكيس » — (٢) ص : « مما يجد فيه النفس » — (٣) ص : « ما يستكنون » — (٤) ظ : « واحدة » — (٥) ع : « يتقلبون » .

الآدميين على القلوب . والقلب أمير على الجوارح . فحركات الجوارح كلها من تقليب القلب لمشيئة الله (١) . مشيئة الله بمشيئات ربه عز وجل . فأي جارحة حركها فانما يحركها (٢) قلبه والقلب شاخص الى الله تعالى وعز بوله في تلك الحركة فتلك خدمة منه له ، مأخوذة هذه اللفظة من « خدمة الساق » لأن الآدمي اذا قام منتصبا قام على خدمة ساقه فهو بالقلب قائم بين يدي ربه عز وجل ومنه تتأدى الحركات الى الجوارح حتى تظهر على الجوارح ، فقيامه ونهوضه الى ربه عز وجل بتلك الحركة هو خدمة وهو (٣) النية التي ينوه بها العبد في كل عمل .

- ١٨ -

والنية هو النهوض يقال في اللغة « ناء . ينوء » أي « نهض . ينهض » . فالقلب يرتحل الى الله عز وجل حتى يصل (٤) الى سدرة المنتهى ان كان له طريق . فان حبس في الطريق فللتهمة احتبس (٥) ولسوء الأدب منع وانسد الطريق (٦) فعلى أي حال كان فقد نهض من مكانه إن وجد الطريق أو لم يجد ويقول للجارحة التي تعمل ذلك [١٠٧] تحركي بذلك العمل في حركاتك وأتقني العمل على إثري فاني واقف بالباب ابتغي من ربي عز وجل مرضاته بما تنفذين اليه على إثري . فهذه النية .

ثم الناس في نياتهم على درجات على تفاوت عقولهم . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه قال : « يعملون (٧) الناس الخير (٨) ويعطون أجورهم على قدر عقولهم » وروى عن الله عز وجل قال : « يا موسى

---

(١) ظ : « بمشيئاته » ـ (٢) ظ : « تحركها » ـ (٣) ظ : « وهما » (٤) ب ، ع : « بصير » ـ (٥) ظ : « حبس » ـ (٦) ع : « واستدال الطريق » ـ (٧) ظ ، ع : « تعملون » ـ (٨) ع : « الخير » .

انما أجزي الناس على قدر عقولهم » قال له قائل « صف لنا شيئا منه ، كيف تفاوت على قدر العقول» . قال: «مثل رجل دخل المسجد فوجد الصف الأول قد تتام فوقف فى الصف الثانى فقد سقط عن درجة الصف الأول . ودرجته انه جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله وملائكته يصلون على الصف الأول » وجاء « ان الرحمة تنزل على الامام مائة رحمة فيأخذ (١) من يحياله خلفه ، فله (٢) مثل ما للامام ثم للذي عن يمينه الى منتهى خمسة وسبعين ، ثم للذي عن يساره خمسون » فمن دخل المسجد فوقف فى الصف الثانى عن غفلة لم ينل من صلاة الرب عز وجل شيئا ولا من هذه الرحمة التى وصفت» . عن ابن عباس « ومن دخل فنوى (٣) أني لو وجدت مكانا لدخلت في الصف الأول فبهذه النية استوى هو بالصف الأول وله مثل أجورهم لما نوى ، كأنه فيهم » . ثم اذا تمنى أن يدخل فى الصف الاول ونوى ذلك وامتنع وتحرج مخافة أن يؤذي مسلما (٤) ويضيق عليه يضاعف (٥) أجره على من في الصف الاول بما اتقى أذى المسلم . كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن النية وفى شأن التقوي عن أبي كبشة الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « احدثكم حديثا (٦) فاحفظوه انما الدنيا أربعة نفر : عبد رزقه الله عز وجل فيها مالا وعلما فهو يتقى ربه عز وجل فيه ويصل رحمه فيه ويعطي الله عز وجل منه حقه فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله عز وجل علما ولم يرزقه مالا وهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت كما يعمل فلان فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله عز وجل مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط فى ماله بغير علم لا (٧) يتقى فيه ربا ولا يصل فيه رحما ولا يعلم (٨) لله فيه حقا فهذا بأخبث (٩) المنازل،

---

(١) ظ : «تأخذ» — (٢) ظ : ناقصة — (٣) ع : «نهو» — (٤) ظ : «أو»
(٥) ظ : «تضاعف» — (٦) ع : «شيئا» — (٧) ظ : «فلا» — (٨) ظ: «يعمل»
(٩) ظ : «بأخس».

وعبدلم يرزقه الله عز وجل مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا (١) عملت بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء . حدثنا الفضل بن محمد (٢) نا رزيق بن الورد الرقي (٣) نا أسلم بن سالم عن (٤) عبد الغفار بن ميمون عن عبد الملك الجزري قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة في الصف الاول (٥) مخافة أن يؤذي مسلما أو يزاحم (٦) أحدا فصلى في الصف الثاني أو الثالث أضعف الله عز وجل أجره على من صلى (٧) في الصف الأول» . فهذا بعقله نال زيادة الثواب على الصف الأول ، والآخر بغفلته (٨) وجهله سقط عن هذا الثواب . فهذا تفسير « انما أجزى الناس على قدر عقولهم » ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه : « لا يعجبنكم اسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله » وحدثنا بذلك أبي رحمه الله نا (٩) جندل بن والق (١٠) الكوفي نا عبد الله ابن عمرو (١١) الرقي عن اسحق بن أبي فروة (١٢) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

— ١٩ —

فالصادقون والمخلطون قلوبهم محجوبة بالشبوات فنيتهم النهوض بالقلب اذا نهضوا لم يجدوا منفذا فيقفون حيث بلغوا من الحق (١٣) . وأما الذين فتح لهم في الغيب فان قلوبهم تنهض الى العلا حتى يبلغ (١٤) مقامه فهناك ينتهي (١٥) مرماة (١٦) ربه تعالى . وحركات الجوارح عند فراغه من العمل تلحقه (١٧)

---

(١) ب ع : « مال » — (٢) ع : « الفضلة محمد » (٣) ع : « ورقى بن الورد والرقي » (٤) ظ : « بن » (٥) ظ : ناقصة — (٦) ظ : « منزاحما » . (٧) ظ : ناقصه — (٨) ظ : « لغفلته » — (٩) ظ : « حدثني » — (١٠) ظ : « واثق » — (١١) ظ : « عمر » — (١٢) ع : « اشجور الى قدوة » (١٣) ب ع : « الجو » — (١٤) ظ : « تبلغ » — (١٥) ظ : « ينتهي » — (١٦) ع : « حرفة » — (١٧) ظ : « يلحقه » .

علي أثره فذلك النهوض هوية . وأما بقون الدين وصفوا [١] الي الله عزوجل في مقامه فبرضي [٢] ربه عز وجل ثم يلحقه العمل علي الأثر . فالنيات متفاوته فهؤلاء خدم .

-٢٠-

وأما الملائكة فانما يعملون في مصافهم ومقاومهم علي الأبد [٣] . وإنما خص جبريل عليه السلام من بين الملائكة لأنه خادم رب العزة من بين جميع خلقه يخدمه باختلاف الأحوال . وأهل السماوات في مصافهم . والملائكة [٤] على الخلق سكان [٤] ، وهم سخرة للآدميين . فأما [٥] إسرافيل عليه السلام فقابض الوحي ومؤديه الي جبريل عليه السلام وصاحب الصور يدعوهم الي الحشر وقبض الجزاء . وأما جبريل عليه السلام فصاحب الرسالة وأما ميكائيل عليه السلام فقابض أرزاق الآدميين والموكل [٦] بالقطر والنبات والرياح لمعاش الآدميين ١٠٧ ب . وأما ملك الموت فقابض أرواحهم . وأما حملة العرش فموكلون بالاستغفار للآدميين . وأما الكروبيون [٧] وأهل عليين فموكلون بالاستغفار والتضرع والبكاء علي أهل الذنوب من الآدميين . روى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال : «لما أسري بي سمعت دويا [٨] فقلت ما هذا يا جبريل ؟ — قال : هذا بكاء الكروبيين علي أهل الذنوب من امتك» . وأما أهل السماوات فموكلون في صلاتهم [٩] بالاستغفار ووفرة [١٠] التقصير . وآخرون موكلون بالرياح وآخرون موكلون بالسحاب وآخرون موكلون [١١] بالشمس وموكلون [١٢] بالقمر وموكلون بالنبات وموكلون بالجبال وموكلون بالبحار وموكلون بالليل والنهار وموكلون بالحر وموكلون بالبرد وموكلون برزق الخلق صباح كل يوم وموكلون بالثلج وموكلون

---

(١) ظ : «وصفوا» — (٢) ظ : فرضي» ع : «فترضى» — (٣) ع : «الانصار» (٤) ظ : «في اهل الخلق وهم سخرة» . (٥) ظ : «واما» — (٦) ع : «فلوكل» — (٧) ظ : «الكروبيين» — (٨) ع : «رويا» — (٩) ع : «طوقهم» — (١٠) ظ : «وقارة» — (١١) ع : ناقصة — (١٢) ظ : «وآخرون» .

بأعمالهم حفظة كتبة وموكلون باخراسة — وهم المعقبات — وموكلون بالهداية على القلوب وموكلون بالهداية في الاسفار وموكلون بأتمام الكلام — فاذا قال الحمد لله قال الملك رب العالمين . واذا قال العبد سبحان الله قالت الملائكة ومحمده . وتكتب ذلك لصاحبه — وموكلون بصلاة الآدميين في صفوفهم فكلما زاد رجل زاد معه ملك معه رحمة وموكلون بحجهم وفى مشاهدهم وموقفهم وموكلون بالزحف (١) للنصرة عند لقاء العدو وموكلون بجنائزهم للتشييع فهم أمام الجنازة وموكلون بليلة القدر ونزول الروح والتسليم على الآدميين وموكلون بالاعياد وحمل الجوائز وموكلون بالتثبيت للآدميين فى أعمالهم وموكلون بنزع الأرواح منهم ورفعها الى الله تعالى مع ملك الموت وموكلون بتشييع أرواحهم الى العرض على الله عز وجل فى مقام العرض هذا كله فى الدنيا ثم اذا قامت القيامة فموكل بنفخ الصور وموكل بالبشرى للموحدين وموكل بحمل الكسوة للآدميين وموكلون بالرحمة ليقسموها (٢) عليهم وموكلون بجنبات النار يذودون ربهم عز وجل يسألونه السلامة وموكلون بوزن الأعمال وعرض الدواوين وموكلون بحمل (٣) الأعمال من الخزائن الى الموقف وموكلون بتشييعهم الى الجنان من (٤) الموقف وموكلون فى الجنان بالخزانة فخارمة وزوارا (٥) وحملة هدايا من رب العالمين . وجبريل صلى الله عليه وسلم موكل فى الدنيا (٦) بأداء الوحي وتبليغ الرسالة ويوم القيمة بوزن الأعمال وفي الجنة بالنداء من بطنان العرش للزيارة الى رب العالمين . فوجدنا للملائكة كلهم مسخرون (٧) لنا في الدنيا ويوم القيامة وفى الجنان الى الأبد.

---

(١) ب ع: ترد قبل ذلك عبارة مكررة وهى « وموكلون بالزحف للنصرة وفى مشاهدهم وموقفهم » وقد حذفناها — (٢) ظ : « لتقسمها » — (٣) ظ: « عرض » — (٤) ظ: « ومن » — (٥) ظ : « ووزراء » — (٦) ظ: « بالدنيا » — (٧) ب ع : « عليهم مسخرين »

[منزلة الملائكة من الادميين]

-٢١-

فآدم عليه السلام خليفة الله عز وجل في أرضه والملائكة جند الخليفة يعملون له ولولده (١) ما ذكرنا في ولده (١) . فما خرب ولده عمرته الملائكة وما أفسد ولده أصلحته الملائكة ، وما دنس ولده غسلته (٢) وطهرته . وروي لنا عن عبد الله بن عمرو (٣) أنه (٤) قال : «قالت الملائكة يا ربنا منا للقربون ومنا الصافون المسبحون (٥) ومنا الكرام الكاتبون ومنا ومنا (٦) ، جعلت الدنيا لبني آدم يأكلون ويشربون فاجعل لنا الآخرة — قال : لن أفعل . فعاودوه بمثل مقالتهم فقال لن أفعل ، ثم عاودوه في الثالثة . فقال لن أفعل ، لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له «كن» فكان . هم عبادي للقربون». فللملائكة عباد مجبورون ومكرمون بالعبادة الطاهرة. والآدميون خدم (٧) وتجار معاملون . فللمعرفة رءوس أموالهم والحركات تجاراتهم (٨) ومرضاة الله عز وجل أرباحهم . قال الله عز وجل : « والله يعلم متقلبكم ومثواكم ». تقلبوا في مرضاته وثووا (٩) في جنانه تحت عرشه في جواره فأكرم الله تعالى هذا المؤمن بمعرفته فأحرزه في ذمته وحرم عرضه ودمه وماله وعظم حرمته . فأعلمهم بالله أعظمهم حرمة وأقربهم وسيلة وأكرمهم عليه .

فمثل العالم (١٠) به كمثل رجل نظر الى شخص رجل حتي عرفه بالوجه فهو ساكن القلب حتي اذا عرفه بخصلة من خصال الشرف وجد قلبه قد تغير (١١)

---

(١) ظ : «في ذكرناه في ولده» — (٢) ع : «غسلته الملائكة» (٣) ظ : «عمر» (٤) ع : «ربه» — (٥) ظ : «والمسجون» — (٦) ع : «منا» مرة واحدة فقط — (٧) ع : «خادم» . — (٨) ظ : «تجاراتهم» — (٩) ظ : «واثوروا» — (١٠) ب ، ع : «العلم» (١١) ع : «تغير» .

له الى التعظيم والاجلال . فان كان قد جمعت هذه الخصال فى رجل واحد مما وصف الله عز وجل بها نفسه من الجود والغنى والرأفة والرحمة والسماحة والكرم والمعرفة بالامور والقوة(١) والتدبير ومحاسن (٢) الاخلاق عظم شأن الرجل عندك حتى تهيم (٣) فى ذكره وتوصافه.

فمن كشف له الغطاء حتى (٤) عرف ربه تعالى بأسمائه الحسنى وأمثاله (٥) العليا كان أسبى (٦) لقلبه وألهج لذكره (٧) .

[تأديب النفس]

-٢٢-

وإن ابن آدم مطبوع على سبعة وهى : الغفلة والشك والشرك والرغبة والرهبة والشهوة والغضب. فهذه سبعة أخلاق. فاذا جاءه نور الهداية حتى عرف ربه عز وجل ووحده(٨) ذهبت الغفلة وذهب(٩) الشك والشرك(٩) فهو يعلم ربه يقينا وينفى عنه الشرك [١٠٨] وزال (١٠) الشك عنه . ثم لما جاءت الشهوة فأظلم الصدر بدخانها وفورانها ذهب ضوء عمله واستنارته وتحير في أمر ربه عز وجل كالشاك وظهر شرك الأسباب فكلما ازداد العبد معرفة وعلما بربه عزوجل واستنار قلبه وصدره انتقض (١١) من الغفلة ومن هذه الخصال السبع كلها حتى يمتلىء صدره من عظمة الله عز وجل وجلاله فعندها كشف الغطاء وصار يقينا وزايله شرك الأسباب وماتت الشهوة وذهب الغضب وذهبت الرغبة والرهبة فلا يرغب الا الى الله عز وجل ولا يرهب الا منه ولا يغضب الا فى ذات الله

---

(١) ع : «فالقوة» — (٢) ع : «بمحاسن» — (٣) ع : «تهم» — (٤) ظ: ناقصة
(٥) ظ : «امثاله» — (٦) ظ : «انسا» — (٧) ظ : «يذكره» . (٨) ظ : «وحده»
(٩) ظ : «الشرك والشك» — (١٠) ب،ع : «زوال» — (١١) ظ،ع : «انتقص»

عز وجل ولله ولا يشتغل بشهوة (١) الا بذكر الله عز وجل .

قال له قائل : « صف لنا من رياضة النفس شيئا » . قال : ان النفس اذا اعتادت اللذة والشهوة والعمل بالهوي أقبلت علي فطمها عن العادة في كل شيء، فكلما اشتد عليها فطم شيء فأقبلَ قِبلَ (٢) ذلك الشيء حتي تفطمها عنه حتى يصير قلبك حرا يألف مع الله عز وجل بره ولطفه . فقد رأيت البازي كيف يلقى (٣) في البيت وتخاط عيناه (٤) حتي ينقطع (٥) عن الطيران ويربي باللحم ويرفق (٦) به حتي يأنس لصاحبه ويألفه ألفا (٧) اذا دعاه فسمع صوته أجابه.

فكذلك النفس انما تجيب (٨) ربها عز وجل فيما أمرها بعد فطامها عن عادات الامور التي اشتهت ولذت . فاذا فطمها الزمها الدعاء وثناء الرب عز وجل ومداءحه ونجواه حتي تأنس بذلك وتألف الذكر حتي ينكشف الغطاء بعد ذلك فيألف ربه عز وجل . وكذلك تجد الصبي قد الف ثدي أمه حتي لا يكاد يصبر عنه ساعة فاذا فطمته اشتد على الصبي وبكي وقلق فاذا دام الفطم (٩) نسيه وأقبل على الطعام والشراب فكلما وجد حلاوة الأطعمة والأشربة هجر الثدى وعاف ذلك اللبن . وكذلك تجد الدابة تؤخذ من الدواب السائمة (١٠) لتؤدب وتعود الركوب (١١) فهي الابتداء تنفر (١٢) عن اللجام والسرج فتشكل حتى تسرج ، وتلجم حتى تعتاد ، وتعلم السير حتى تصير أذنها الى العنان وقلبها الى إشارات الراكب بذلك العنان فاذا بلغ بها القنطرة وثبت وثبة ، ولا يدعب تجوز فتعتاد ذلك — فليس في كل مكان يوجد قنطرة — فيعودها الوثب، ويسير بها (١٣) في جلبة الصناعين مثل (١٤) الحدادين والنجارين (١٤) فاذا نفرت

---

(١) ع : «شهوة» — (٢) ظ : ناقصة . — (٣) ظ : «يأتي» — (٤) ظ : «عينيه» — (٥) ع : «ينفطم» — (٦) ع : «يرمق» — (٧) ظ : ناقصه — (٨) ظ: «نجيب» — (٩) ظ : «العظم» ب ع : «القطع» — (١٠) ظ : «السائبة» — (١١) ظ : «للركوب» — (١٢) ع : «الامتدا بمن» — (١٣) ظ : «يسيرها» — (١٤) ع : «المدارت والبحارت».

من تلك الاصوات أو تركت سيرها أدبها حتي لا تنفر ولا تتحير (١) حتي تصير أدبية سيورة .

فكذلك الآدمى يؤدب كما تؤدب هذه الطيور والذواب بالفطم عن عاداتها ، وكل ما تجد النفس لذته في وقت تفرح بذلك الشيء . فاذا فرحت به فقد تدنس بذلك الفرح فيصير غشاءً عليه، حجابا له (٢) عن ذلك الفرح فكان أهل الصدق فى هذا الطريق يلزمون هذا الباب الذي وصفت فكل شيء يفرح نفوسهم من وجود لذة ذلك الشيء كائنا ما كان من طعام أو شراب أو لباس أو أهل أو ولد أو أخ أو مؤنس أو أصحاب (٣) أو أمكنة (٤) أوعرض من عروض الدنيا. فكانوا يتوقون الفرح لذلك فيأخذون من ذلك الشيء الذي لا بدلهم منه على الضرورة ثم يهربون من لذته خوفا علي النفس أن تفرح بذلك . فان دام علي ذلك صاحبه فذلك تقوي الباطن . وأما تقوى الظاهر فهو حفظ الجوارح مع الخلق والملائكة . فاذا فعل ذلك فأدي (٥) الفرائض بمواقيتها (٦) وحدودها واستعان علي النفس برؤية الموتى والمقابر وأهل السجون والمواضع (٧) التى فيها النيران العظيمة من الأتون ومذاب جواهر الزجاج (٨) ـ فان فى ذلك قمعا للنفس ـ أورثه فعله بنفسه الغم (٩). ومن الغم الهم والأحزان (٩) .ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماعبد الله عزوجل بمثل طول الأحزان »

« تم كتاب الرياضة »

---

(١) ظ : « تحير » — (٢) ظ : ناقصة — (٣) ظ : « صاحب » — (٤) ظ : «مكنة» — (٥) ع : « فلاني» — (٦) ظ : «لمواقيتها» — (٧) ظ : « المواضيع» — (٨) ظ: « الزجاج » — (٩) . ظ : « ومن الغم الأحزان »